سوريتنا

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (40) | 24 / 6 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

عمل لوسيم مرزوقي | الأم سوريا

2000 سوري لجأوا إلى الأردن يطالبون بالعودة إلى بلادهم

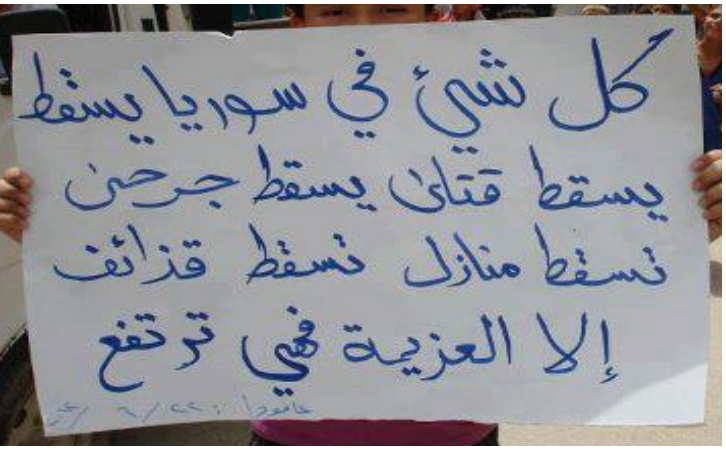

تامر الصمادي

في مدينة الرمثا الأردنية القريبة من الحدود مع سورية، تزداد حدة التوتر بين بعض اللاجئين السوريين والسلطات الأردنية، التي قررت أخيراً فرض إقامة جبرية على الكثير من هؤلاء، بعد قرار مماثل اتخذ في وقت سابق وشمل مئات اللاجئين الفلسطينيين من حملة الوثائق السورية.

ووفق الروايات المتدفقة على ألسنة الكثير من اللاجئين السوريين، فإن جهاز الشرطة الأردني شدد قبضته على أفواج الآتين من الجارة الشمالية وبخاصة فئة الشباب.

وقررت السلطات تحويل ملعب رياضي أنشئ في منطقة صحراوية نائية بمدينة الرمثا إلى ما يشبه السجن، ليضم مئات الشبان السوريين.

وحدات الشرطة التي كانت تحرس البوابات الرئيسة للملعب، منعت الدخول من دون إذن رسمي، يحتاج الحصول عليه إلى إجراءات أمنية معقدة.

لكن محاولاتنا المتكررة قادتنا إلى داخل الملعب عبر أسوار مرتفعة، لننقل مشاهد لشبان يعيشون أوضاعاً يقولون إنها بائسة. وهي وفق الناشط أحمد الحمصي الذي كان يفترش أرض الملعب المغطاة بالإسفلت، «لا تقل حرماناً عن تلك الأوضاع التي عاشوها في بلادهم».

الشاب الذي عرّف عن نفسه بأنه ناشط على صفحات الثورة الإلكترونية، قادنا إلى قبو داخل الملعب وضع فيه العشرات من الشبان لا سيما الجرحى منهم. وبصوت تملأه الحسرة شرح لنا كيف «يعاني نزلاء القبو من دون ذنب».

وفي طريقنا إلى ذلك المكان المظلم، شاهدنا شباناً يرتدون ثياباً رثة ويفترشون السلالم المؤدية إلى الأسفل.

كانوا يغطون أجسادهم النحيلة ببطانيات طبع عليها شعار وكالة غوث وتشغيل اللاجئين.

مشاهد «صادمة» كانت بانتظارنا، فالعشرات من هؤلاء الشبان تكدسوا بين جدران تغزوها الرطوبة والعفن، وروائح كريهة كان مصدرها أماكن خصصت لقضاء الحاجة. أسراب الحشرات والفئران كانت هي الأخرى حاضرة في المكان.

بقايا شظايا

وكثيرون من شبان القبو المحتجزين، قالوا إنهم ما زالوا يحتفظون في أجسادهم المنهكة ببقايا شظايا وأعيرة نارية، مؤكدين أنها تمثل «دلائل على فظاعة الأوضاع في سورية».

علي الدرعاوي أصيب بطلق ناري في ساقه اليمنى خلال مواجهات في قرية داعل التي يتحدر منها. وعبر إلى الأردن برفقة العشرات من الفارين تحت غطاء الضباب والظلام، مجتازين الأسلاك الشائكة.

يقول: «جئت إلى الأردن هرباً من موت محتم، بيد أن الحياة في هذا المكان أشبه بحياة الدواب، فلا نظافة ولا خدمات ولا طعام سوى وجبة واحدة في اليوم تقدمها لنا وكالة الغوث».

ويقول آخر: «القبو الذي نعيش فيه أشبه بزريبة الأغنام. إنهم يسوقوننا إلى هنا كالنعاج».

ويتحدث فادي هرموش الذي فر حديثاً من سورية ويستخدم اسماً مستعاراً، عن أوضاع صحية سيئة لبعض الجرحى الموجودين معه داخل القبو. ويزعم أن «السلطات الأردنية ترفض نقلهم إلى المستشفيات لتلقي العلاج».

وقال إن أحد الجرحى المحتجزين يعاني في شكل متواصل نوبات من الصرع، مشيراً إلى أن «الشبيحة قتلوا والدته وشقيقته الوحيدة أمام عينيه».

وبصوت متهدج قال أحدهم: «كنا مخطئين حين قدمنا إلى الأردن، فالموت على أيدي الشبيحة أرحم بكثير (...)».

الكثيرون من هؤلاء أكدوا لـ«الحياة» تقديمهم إلى السلطات المحلية طلبات عودة إلى سورية نتيجة الأوضاع التي يصفونها بأنها سيئة، لكن الجهات الأردنية لم توافق عليها.

وعدم الموافقة دفع بعدد من المتقدمين بالطلبات إلى الهروب من داخل القبو، فأصبح مطلوباً لقوات الأمن الأردنية.

مصادر المعارضة السورية قالت لـ«الحياة» إن «أكثر من 2000 لاجئ تقدموا إلى السلطات الأردنية بطلبات عودة إلى بلادهم من دون جدوى».

وقال نشطاء سوريون موجودون في عمان فضلوا عدم الكشف عن أسمائهم، إن «جهاز الأمن الأردني صادر قبل أيام أجهزة اتصال (ثريا) كان بعض النشطاء يحاول تهريبها إلى مدينة درعا السورية».

كما يشكو الناشطون من مصادرة الأمن الحوالات المالية التي تصل الكثير منهم، «تحسباً من إرسالها إلى الثوار لغايات التسليح».

تشدد الاردن

ويرى الكاتب والمحلل السياسي فهد الخيطان، أن تشدد الأردن في التعامل مع القادمين والداخلين إلى الحدود الشمالية «نابع من معطيات استخبارية لدى الجهات الرسمية تفيد بأن ما يزيد على 6 آلاف من عناصر تنظيم القاعدة المدربين، دخلوا الأراضي السورية في الأشهر الأخيرة».

ويقول الخيطان إن «الأردن قلق من حدوث أية أنشطة على أرض المملكة، من شأنها أن تسهل دخول السلاح إلى سورية».

ويقول مصدر حكومي أردني اشترط عدم ذكر اسمه إن «التحفظ على بعض الشبان السوريين داخل سكن معين تتطلبه المصالح الأردنية العليا، فنحن قلقون من تسللهم إلى داخل سورية مرة أخرى، ما قد تفهمه السلطات السورية بأننا موافقون على دخول الأشخاص للقتال وتقديم الدعم للميليشيات المسلحة». لكن المصدر أكد دعم الأردن للاجئين السوريين «ضمن الحدود التي يقدر عليها».

وقال إن «الجهات المعنية بدأت تجهّز كرفانات جديدة داخل مدينة الرمثا، ليتم نقل العائلات السورية إليها».

ويؤكد الأردن أن حوالى 120 ألف سوري دخلوا المملكة منذ اندلاع الأحداث في سورية منتصف آذار من العام الماضي، ومعظم هؤلاء يقيمون مع أقاربهم في مدينتي المفرق والرمثا شمال المملكة.

وداعاً يا أهلي في القلمون

رسالة الأب باولو دالوليو (الراهب بولص) لأهل القلمون

في الوقت الذي أغادر فيه البلد متّجهاً إلى منفى أليم -ويشهدُ الله عليّ أنني كنت أفضل لو رقدتُ مع شهداء الحرية في تراب هذه الأرض المحبوبة وحتى لو نزلتُ إلى جحيم المعتقل...- يعزّ عليّ أن أوجّه رسالة شكر لأهل القلمون الأعزاء عبر صفحات حرة تخاطب جيل شبابنا الأحرار، وأعتذر من الجهات المختصة لعدم طلبي مسبقاً الموافقة الأمنية وإذن الطباعة... فمن نقاط خطة عنان الستة الاعترافُ بحقّي في أن أمارسَ حرية الرأي والتعبير مع أنني لهذا السبب أُطرد.

سحرني القلمون منذ المرة الأولى التي مررت به سائحاً عام 1973 وكنت في التاسعة عشرة من عمري، ثم انطبعت في مخيلتي تضاريس جباله الجذابة عندما كنت أدرس اللغة العربية والدين الإسلامي والمسيحية المشرقية في دمشق عام 1980. ثم حصل ما حصل عندما تقاطع قدري مع قدر دير مار موسى الحبشي شرق النبك صيف 1982. على فور ذاك اللقاء العجيب رأيت في دير مار موسى القلموني الجسد المناسب لتحقيق مشروع التصوّف المشترك المسيحي-الإسلامي ولتنفيذ رؤية الضيافة الإبراهيمية وللاهتمام البيئي في مكافحة التصحّر والتنمية المستدامة وللعمل الصبور لبناء المجتمع المدني الناضج ضمانا لديمقراطية غير شكلية. لم أتصور أبدا الراهب أو الراهبة كشخص معزول عن مسؤوليات جيله وطموحاته. إنه الخادم والمُفعّل للجانب الروحي في حياتنا جميعا. إنما هي حياة فارغة وقاتلة لو فُقدتْ هذا الجانب الروحي والجمالي. وكم يعبّر القلمون عن هذا التناغم بين الأرض والقلوب والقمم والرياح والنجوم!

مرّت ثلاثون عاماً من العشرة والتعاون وحسن الجوار والصعوبات أيضاً... تذوقتُ هذا الأصل الحضاري العتيق والمبني على الوفاء للدين والاحترام والتقدير لدين الجار. ومع ذلك كنتُ أرى بقلق بين سنابل القمح الغنى تنمو الأعشابُ السامة والشائكة التي تكاد أن تخنق المجتمع ثقافياً ودينياً ومؤسساتياً. فأغلقتْ المحمية البيئية ومُنعت المحاضرات والندوات الحوارية وانشلّ العمل في مختلف أبعاده إلا أن الروحَ لا تُقمع.

توقفت إقامتي في شهر آذار من عام 2011 عند تفتح براعم الربيع السوري ولم أستطع منذ ذلك الحين أن أسافر خارج البلد للقاء والديّ العجوزين...

اضطررتُ في الأشهر الماضية أن أضعَ جانباً الحذر والخوف لأنني كنت أرى في الآفاق اندلاع الحرب الأهلية وآلاف القتلى وتشويه زينة وطننا ألا وهم شاباتنا وشبابنا الأشراف. حاولتُ ولم أزل أن أستبق ممارسة الديمقراطية الناضجة قبل الأوان لعلها تغلب الطغيان بسلاح الحق لا الرصاص... والآن وداعاً يا قلمون وأهله الأعزاء. في قلبي صور الوجوه الطيبة والضيافة الصافية والعقول القاسية التي لا تمشي إلا على قناعة.

إلى اللقاء يا أقربائي، المسلمين منهم والمسيحيين، فإنكم في قلبي أمة واحدة انتمي إليها وحدها! إلى اللقاء، فاللقاء، إن شاء الله، قريب! نعم، إنني ذاهب وبقدر ما أبتعدُ في المدى أتعمّق بالقدر ذاته في انتمائي العربي والسوري والقلموني، فلا تتحقق الإنسانية إلا في الخصوصية.

علمني المسيح أن أسامح... فإن لم يكن الله هو من يسامح في قلوبنا فكيف يسعنا أن نسامح من هم إخوتنا في الإنسانية على ما لا يُحتمل من تشويهها؟ رمى الله في قلبي السماح، فإنني لحظة الفراق أطلب من جميعكم السماح على أي نقص أو خطأ صدر عني... علمنا الأنبياء الشكر وهناك الكثير والكثير من النعم أشكره تعالى عليها طيلة هذه السنوات القلمونية الثلاثين... «ولئن شكرتم لأزيدنكم».

استشهاد رابع متطوع من الهلال الأحمر السوري رمياً بالرصاص

قالت جمعية الهلال الأحمر العربي السوري أن متطوعا لها قتل رميا بالرصاص أثناء أداء مهمة إسعاف أولية في سوريا وهو رابع مسعف محلي يقتل مع تصاعد الحملة الأمنية والعسكرية الشرسة التي يشنها النظام السوري المجرم على مختلف المناطق السورية.

وأضافت قولها في بيان لها، أن بشار اليوسف (23 عاما) أطلق الرصاص على رأسه بينما كان يرتدي زيا يظهر عليه بوضوح شعار الهلال الأحمر.

وقال عبد الرحمن العطار رئيس الهلال الأحمر العربي السوري "لقد صدمنا لوفاته وهذا غير مقبول على الإطلاق".

كان اليوسف يعمل في دير الزور بشرق سوريا. ولم تتضح هوية قاتل اليوسف.

وشددت اللجنة الدولية للصليب الأحمر على أهمية ألا يصاب المسعفون السوريون بأذى في بيان مشترك مع الهلال الأحمر السوري.

وقال الكسندر إيكوي نائب رئيس وفد اللجنة في سوريا "يأتي هذا في حين أن الصليب الأحمر والهلال الأحمر العربي السوري هما المنظمتان الوحيدتان تقريبا اللتان يمكنهما العمل في مناطق تضررت من العنف في سوريا"

وبدأ عمال الهلال الأحمر السوري حدادا على اليوسف وحملة توعية على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك مستخدمين صورة لشاب مبتسم في زيه الأحمر بجوار صور ثلاثة متطوعين قتلوا قبله. وعرضت صورة خامسة لعامل يرتدي زي المسعفين ووجهه بلا ملامح وعليه علامة استفهام وأسفلها تعليق "الشهيد التالي"

ومن اللافت أن الشهيد بشار اليوسف كان قد كتب على صفحته في فيس بوك الستاتوس التالي:

عندما أموت

أبلغوا سلامي إلى تلك القريبة البعيدة.... أظنها تعرف نفسها جيداً

قولوا لها أنها زارتني في مناماتي كثيراً.... أخبروها أني بكيت كثيراً

وتألمت منها كثيراً وأحببتها كثيراً....

أعطوها قطعة كبيرة من قلبي تعلقها.... بإطار مذهب في غرفتها

وأيظاً قبلوا رأسها وأخبروها أنني لم أعد هنا.

مجموعة صغيرة من السوريين

مجموعة صغيرة من السوريين الأحرار يقول كل منهم كلمته.

تم استخدام أحد رموز النظام (جريدة البعث) لكونها جزءاً من المنظومة الأمنية - البعثية، كما استُخدمت الجريدة كسرد تاريخي لأيام الثورة لتكتب عليها كلمات الناس فوق كذب النظام. مع التأكيد أن المعني هو ليس البعث بقدر ما هو النظام نفسه. كان لكل شخص من المشاركين أن يكتب على الجريدة أو أن يستخدمها بطريقة رمزية ما، موصلا بذلك فكرته كجزء من الفكرة الأشمل:

هؤلاء سوريون وهذه هي كلماتهم. بدأ العمل بهذا المشروع منذ الأشهر الأولى للثورة، في مرحلة كانت الكاميرا وما زالت من أهم أسلحة الثورة.. كان ينبغي أن نعمل بأبسط طريقة تقنية ممكنة وأقلها لفتاً للنظر. ولد العمل بالمشروع كما ولدت الثورة صدفات.. لقاء هؤلاء، وأحاديث الثورة والحرية التي رافقتها والمزيج المعقد من مشاعر الفرح والحزن والإرادة كانت جزءاً مهماً من العمل بالمشروع مع مجموعة من السوريين المتنوعين الذين يفتخرون جميعا بالاشتراك بالوطن الواحد.

أوجـــاع وطـــن

حـــوار بيني وبين الخالة من «الحولة»

■ سمر يزبك

الخالة التي تجاوزت الستين من عمرها، ممتلئة قليلاً لكنها تغطي وجهها بوشاح أسود، تحدثني بصوت مبحوح لكنه واثق، تخبرني كيف رمت نفسها في كومة قش، واختبأت، ونجت من المجزرة، عندما اقتحم الشبيحة «الحولة» وكيف أغمضت عينيها لأنها ظنت أنها سترى مع أصوات الصراخ وأصوات السواطير، كيف يُقتل الناس، لكنها اكتشفت أنها تستطيع فتح عينيها، وأنها لن تلمح سوى ألوان غائمة، لكنها تقول:

«أنا سمعت صوت اللحم كيف بينفرم! سمعت صوت السكين بالجلد»

الخالة التي لا تنتظرني لأسأل السؤال: وكيف أولادك؟ تقول بلهجة واضحة رغم أن صورتها عبر السكايب تغيب، وتتحول إلى سائل داخل الشاشة، نعم سائل يتماهى بين الأسود والأصفر، وأنا أمد أصابعي وهي تتحدث لأصدق أن ما أسمعه حقيقة: «ولادي اتنين شباب ماتوا، قتلوهن الشبيحة بعد المظاهرة، ما كانو مسلحين ولا شي، بين الساعة أربعة وخمسة، دبحوهن» تتوقف عن الكلام، «عندك ولاد»؟

- «عندي بنت»

- «اللّه يخليها يا بنتي، اللّه يحفظها، ويفرحك فيها، أنا ولادي اتنين شباب، اتنين شباب متل الوردة دبحوهن!! وطيب بنتك متجوزة؟».

أصمت قليلا، وأمد أصابعي ثانية إلى شاشة الكمبيوتر، «اللّه يصبرك يا خالة».

تتحرك قليلا، ألمح كتلتها تتحرك. الصورة غير واضحة لكن الصوت واضح:

«ودخلوا علينا يا بنتي وقتلونا تقتيل، دبحونا، جارتي الحامل بالشهر الثامن، دبحوها من بطنها، حدا بيدبح مرة حامل من بطنها؟! مات ابنها قبلها، وماتت المرة، بس ما خبرتيني انشاللّه فرحتي ببنتك؟»

-«لسه يا خالة» أجيبها بصوت مخنوق، فتقول بصوت حزين: «اللّه يفرحك فيها يا حبيبتي، واللّه نحنا وأنتو أخوة، كنت أسهر مع جيراننا من ضيعة القبو، أنا وعيلتي، للساعة 12 بالليل، ونبقى عندهن، ويرجعونا بالسيارة، بالليل، وكنا نأمن عليهون ويأمنوا علينا، اللّه يلعنك يا بشار الأسد شو عملت فينا!»

تصمت الخالة قليلا، ربما تتحدث؟ تعود الصورة واضحة، أرى أنها تتحرك، استطيع الإحساس بصوتها رغم الصمت تميل برأسها، لكني لا أفهم ما تقول، فأشير إليها بيدي بأني لا أفهم، ينقطع الاتصال، ثم يعود فجأة صوتها بقوة: «واللّه يا بنتي بعد ما دبحونا وقتلونا، حاصرونا، بعد ما خلو بعيوننا الضو، منعوا عنا كل شي، يعني بعد كمان كم يوم ومنموت من الجوع، ممنوع يدخل لعنا شي، محاصرين من كل الجهات، والعالم كلو ناسينا، وبيعرفوا انو اندبحنا، ببس ما بيعرفوا انو عم يجوعونا؟ بس ما خبرتيني، بنتك صبية؟ اللّه يخليها ويفرحك فيها ولا يحرق قلبك عليها يا رب، آآآآمين يارب... دبحولي ولادي اتنين، اتنين شباب! اتنين شباب متل الورد! وكمان يا ريت بس هيك، شوفي شو عملوا بالنسوان ما بيكفي بهدلهون، كمان رموهن عرايا ودبحوهن، واللّه يا بنتي نحنا وانتو دائما حبايب».

تتوقف الخالة عن الحديث، تشير لشخص بقربها أن يحرك السماعة التي تضعها، ثم تثبت الغطاء الأسود الذي يحجبها بالكامل عني «واللّه صحيح يا خالتي اللّه يصبر قلبك واللّه ليتحاسبوا واحد ورا التاني» أقول.

«اللّه يحفظك يا بنتي ويفرح قلبك ببنتك، أنا ولادي اتنين.. اتنين شباب متل الفل، دبحوهن.. ما كان معهون سلاح، طلعوا مظاهرة بس، بين الساعة خمسة وأربعة، اللّه يخلي ولاد الناس، دبحوا ولادي وجيراني، وبنتك انشاللّه منيحة؟»

ينقطع الارسال فجأة، تصير الصورة سوداء، «يا خالة يا خالة» أناديها، لا صوت. الشاشة سوداء، يا خالة يا حبيبتي، ردي علي: الشاشة سوداء، انتظر وانتظر، أترك الشاشة، اسمع صوتي يقول: واللّه انا اتنين من ولادي دبحوهن متل الفل شباب...

انظر في الشاشة السوداء، اسمع صدى صوتها: اللّه يخليلك بنتك ويفرحك فيها.

اصمت... بعد دقائق، كان أول خبر اسمعه: قصف مكثف بالهاون على «الحولة» تحديداً على احدى قراها التي كلمتني منها الخالة.

كان هذا منذ ثلاثة أيام، حيث اختفى صوت الخالة نهائياً.. نهائياً وإلى الأبد.

فيس بوك

التغريبة السورية:
قراءة في واقع اللاجئين السوريين

■ ياسر مرزوق

"لـم أعـد أشـك أن اللّه الـذي عرفناه في فلسـطين قد خرج منها هو الآخر، وأنه لاجـئ في حيـث لا أدري، غير قادر على حل مشاكل نفسـه، وأننا نحن اللاجئيّن البشر، القاعديـن علـى الرصيـف منتظريـن قدراً جديـداً يحمل حلاً ما.. مسـؤولون عن إيجاد سـقف نقضي الليـل تحتـه، كان الألم بدأ يفتك بعقل الصغير الساذج.... والكلام هنا لغسان كنفاني.. من رائعته "أرض البرتقال الحزيـن" والتـي قرأتهـا كمـا قـرأت خالـد حسـيني "ألف شـمس مشـرقة"عن معاناة اللاجئيـن الأفغـان علـى الحـدود الأفغانية الباكسـتانية، وربيع جابر في"دروز بلغراد" عن محنة الـدروز اللبنانيين المهجرين إلى أواسـط أوروبا زمن الاحتلال العثماني، كما قـرأت مذابـح الأرمـن وشـتاتهم والقائمة تطـول، ولـم يخطر ببالي يومـاً أن نعايش تغريبـة سـورية ربما لغياب السـابقة، فلم يعرف التاريخ السـوري قديمـاً وحيثاً هجرة قسرية أو تهجيراً بالرغم مما شهدته سوريا من محن طوال تاريخها..

رميت بالفكـرة بعيداً فأنـا لابد واهم والسـوريون لا يعيشـون تغريبـةً أبـداً، وعكفـت اسـتطلع الصحافـة العربيـة قبل اختيار عنوان لملفنا اليوم:

| | "عائلة تعيش مع الجرذان" قالت أم فراس، «ليس لدينا خيار» أم لسـتة أطفال. هـي وعائلتها تعيـش فـي كوخ تسـكنه الجـرذان، ويفيـض فـي كل مـرة تهطـل فيها الأمطـار. تعيش العائلـة في حي غير رسـمي مجاور لميناء طرابلـس، جنباً إلى جنب مع عشـرات العائـلات اللبنانية التي لا تسـتطيع تحمل تكلفة أي شيء أفضل من ذلـك، وأضافـت لقد فررنا مـن مدينة حماة في شـهر أغسـطس وذلك لأن قوات الأمن كانـت تقـوم باعتقال الناس بغـض النظر عمـا إذا كانـوا مشـاركين فـي الاحتجاجات أو لا. لقـد كنت أشـعر بالقلـق خاصة على ابني. في حماة، كانـت قوات النظام تحطم أبواب الناس وتأخذ معها كل شـخص تجده.

لـم يكن هناك أمن يسـمح بالبقاء أكثر من ذلك". "جريدة الشرق".

| | أعلنت منظمة الهجرة الدولية اليوم الثلاثاء أن أكثر من خمسة آلاف لاجئ سوري دخلـوا شـمال العراق وأن عددهـم آخذ في التزايد، وقالت المنظمة أن غالبية اللاجئين هم من كرد سـوريا وأن بعضهم يدفع نحو 300 دولار لتهريبهم إلى العراق بالسيارة أو مشـياً على الأقدام. وأشارت منظمة الهجرة الدولية إلى أن عدد اللاجئين في مخيم واحد أقامته سـلطات إقليم كردسـتان لاستقبال اللاجئين ارتفع الشـهر الماضـي إلى ثلاثة آلاف وخمسـمئة لاجـئ. وأن نحـو ثمانمائة لاجئ يعيشـون في المساجد. "مجلة روافد" بغداد.

| | أعلنـت جمعية قطـر الخيرية أنها بصدد تنفيذ حزمة مشاريع جديدة يستفيد منهـا 10 آلاف مـن اللاجئيـن السـوريين في لبنـان، وذلك في إطار حملتها "سـوريا تسـتغيث"، وبتكلفـة تبلـغ حوالـي 600 ألـف ريـال قطـري، وتنـدرج هـذه الحزمة مـن المشـاريع الجديـدة فـي إطـار المبلغ المخصّص لحملة "سـوريا تسـتغيث" الذي يبلـغ 26 مليـون ريال، ويسـتفيد منه 100 ألف لاجئ سـوري في كل من لبنان والأردن وتركيا. "جريدة الراية "

| | أفتـى قطـاع الإفتـاء والبحـوث الشـرعية فـي وزارة الأوقاف بجـواز إخراج الـزكاة قبل موعد وجوبهـا لإغاثة اللاجئين السـوريين، حال بلـوغ نصاب الـزكاة الحد الشـرعي، وقـال الوكيـل المسـاعد لقطاع الإفتاء والبحوث الشـرعية عيسى العبيدلي إن جمهور الفقهـاء أجاز لمن ملك نصابا أن يخرج الزكاة قبل موعد وجوبها مادام نصاب الزكاة موجودا، مشيرا إلى أن مصرف الزكاة حددته الآية الكريمة "إنما الصدقات للفقراء والمسـاكين والعامليـن عليهـا والمؤلفـة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سـبيل اللّه وابـن السـبيل فريضـة مـن اللّه واللّه عليـم حكيـم ـ التوبـة الآيـة: 60". وأضاف أن كل مـن يصدق عليـه وصف من أوصاف هذه الآية الكريمة جاز إعطاؤه منها. وكانت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية قد وجهت سؤالا إلى وزارة الأوقاف بشأن مدى شرعية إخـراج وتقديم أموال الـزكاة قبل موعدها لصالح النازحين السـوريين إلى دول الجوار المتمثلة فـي الأردن وتركيا ولبنان. "جريدة السياسة".

| | انخفض عدد المواطنين السوريين اللاجئين إلى الأردن عبر الشـريط الحدودي هربا من القمع والقتل في سورية، من 150 لاجئا يوميا إلى نحو 70 وأقل من ذلك، جراء تكثيف الجيش السـوري النظامي لدورياته وزرع كمائن مشـددة على الحدود الأردنية-السـورية، وفق ما أفاد به لاجئون سوريون لـ"الغد" أمس. "جريدة الغد"

| | قـال د. المعتوق إن الهيئة الخيرية منـذ تصاعـد الأحـداث الداميـة والمروعـة في سـورية أطلقـت حملة «النخـوة يا أهل الكويـت.. سـورية تناديكـم»، وأن الهيئـة تمكنت خـلال الفتـرة الماضية من إرسـال العديد من الحمـلات الاغاثية إلى دول جوار سورية. "جريدة القبس".

| | مسـلحون تابعـون لحـزب اللّه يقومـون باختطـاف لاجئيـن سـوريين معارضيـن وتسـليمهم لقـوات النظام في سوريا "جريدة المستقبل".

| | وتتحـدث تقارير إعلامية عن وضع إنساني متدهور في عدة مناطق في سورية، فضـلاً عـن نقص فـي المـواد الأساسـية والطبية، مع اسـتمرار أعمال عنف، أسفرت عن سـقوط الكثير مـن الضحايا والجرحى، الأمـر الذي دفـع الكثير من السـوريين إلى النزوح إلى الدول المجـاورة كلبنان والأردن والعراق. "موقع سيريانيوز".

| | وتعرب حزب جبهة العمل الإسلامي عن القلق إزاء استمرار "المجازر" بحق أبناء الشـعب العـزل، مطالبـا الـدول العربية بـ "خطوات عملية لوقف حمـام الدم". وطالب الحزب على لسـان مسـؤول الملـف العربي والإسلامي الدكتور صالح الغزاوي، الحكومة الأردنية بطرد سـفير النظام السـوري من عمان وسـحب الأردني من دمشـق، و"وقف التضييـق علـى اللاجئيـن السـوريين في الأردن". "الدستور".

| | بيـان للسـفارة الأمريكيـة فـي بيـروت، "كليمنتـس رحبـت بعمـل الهيئة العليا للإغاثة في لبنان لمساعدة المحتاجين وحثـت الحكومـة اللبنانيـة علـى مواصلة العمل عن كثب مع المجتمع الدولي لمعالجة الاحتياجـات الإنسـانية وضمـان سـلامة النازحيـن السـوريين فـي لبنان". نشـرته وكالة "يونايتد برس انترناشونال" للأنباء.

إنـه الكابـوس إذا أمسـى حقيقـة والسـوريون يعيشـون تغريبـة بالرغم من قسـوة العبارة، إذ يتواجـد في الأردن حوالي 120 ألف سـوري وفقا لأرقـام حكومية، 22 ألفـا منهـم فقـط هم المسـجلون رسـميا لـدى المفوضيـة. وفي تركيـا وصـل عدد اللاجئيـن إلى 30 ألفا، أما في العراق ولبنان فالأعـداد كبيـرة لكنها غير محـددة في ظل عـدم اعتـراف بوضعهم كلاجئين، فحسـب ناشطين تستضيف مدينة طرابلس وحدها 1177 أسـرة سـورية. هـذا دون النظر إلى الفئة الأكثر حظاً التي اسـتطاعت النفاذ إلى أقطار الأرض، ودون مناقشة النزوح الداخلي الذي تخطت أرقامه المليـون لاجئ، لذا كان لابـد مـن تخصيص ملفنـا اليـوم للتعريف باللاجئين وحقوقهم في القانون الدولي.

تعريف اللاجئ في القانون الدولي:

بمـا أن هيئـة الأمم المتحـدة، مصدر التشـريع لقواعد القانـون الدولي وواضعة نصوصـه، فقـد قدمـت مجموعـة مـن الاتفاقيـات والمواثيـق والأعـراف الدوليـة التي تحمي وتحافظ على الإنسان "اللاجئ" وحقوقه، ومـن هذه الاتفاقيـات، الاتفاقية الدوليـة لوضع اللاجئين عـام 1951، وهي أبرز الاتفاقيات بعد الحرب العالمية الثانية، جـاء فيهـا أن اللاجـئ. "كل شـخص يوجد نتيجـة لأحـداث وقعت قبـل الأول من يناير سـنة 1951، وبسـبب خوف له ما يبرره من التعـرض لاضطهاده لأسـباب ترجـع لدينه أو جنسـه أو عرقه أو انتمائـه لعضوية فئة اجتماعيـة معينة أو آرائه السياسـية، خارج بلد جنسـيته ولا يسـتطيع أو لا يريد بسبب ذلـك التخوف أن يسـتظل بحماية دولته، أو كل شخص لا يتمتع بجنسيته، ويوجد خارج دولـة إقامته المعتادة بسـبب تلك الظروف، ولا يسـتطيع أو لا يرغب بسبب هذا التخوف أن يعود إلى تلك الدولة".

أمـا اتفاقية جنيف الصادرة في 12/آب لعـام 1949م والتي تنص علـى أن اللاجئ "كل إنسـان يخشـى جديـا مـن تعذيبـه / اضطهاده بسبب دينه أو جنسيته، أو جنسه ووجـد خارج بلاده قبل العاشـر مـن كانون الثانـي 1951م، بسـبب أحـداث وقعت في البلاد التي يحمل جنسيتها".

كما أتى "إعلان قرطـاج" عام 1984م

الشهير والذي وضع الأساس القانوني لمعاملة اللاجئين من أمريكيا اللاتينية تحديداً بعد الصدامات والمعارك الدامية التي أدت إلى نزوح أكثر من مليون شخص خارج بلادهم، مما خلق مصاعب اجتماعية واقتصادية للبلد اللاجئ إليها بتعريف للاجئ على النحو التالي: "أن الأشخاص الفارين من بلادهم بسبب تهديد حياتهم أو أمنهم أو حريتهم، بسبب أعمال العنف أو عدوان خارجي أو نزاعات داخلية أو خرق عام لحقوق الإنسان، أو أية ظروف أخرى أخلت بشدة بالنظام العام في بلادهم".

إجمالاً فإن الوثائق الدولية والإقليمية عموماً، أوضحت بنسب متفاوتة خصائص اللاجئ في تعريفاتها وهي:

1 - فرار وهروب الأشخاص وبحثهم عن ملجأ، مأوى بسبب الحرب والعدوان الخارجي.

2 - انه اضطر إلى ترك دولته بالجنسية، بالإقامة المعتادة، بسبب خوف/خطر مؤكد.

3 - شخص تنقصه الحماية الدولية، وليس مجرد الحماية الدبلوماسية.

4 - الخوف من الاضطهاد بسبب العرق أو الجنس أو الدين أو الرأي.

5 - الفقر والمجاعات والأمراض والكوارث الطبيعية.

حقوق اللاجئين:

هذا وقد اعتمدت الاتفاقية الدولية الخاصة بحقوق اللاجئين، جملة من المزايا والحقوق يتوجب على الدولة المضيفة مراعاتها بحق اللاجئين نذكر منها:

المادة 3: عدم التمييز

تطبق الدول المتعاقدة أحكام هذه الاتفاقية على اللاجئين دون تمييز بسبب العرق أو الدين أو بلد المنشأ.

المادة 4: الدين

تمنح الدول المتعاقدة اللاجئين داخل أراضيها معاملة توفر لهم على الأقل ذات الرعاية الممنوحة لمواطنيها على صعيد حرية ممارسة شعائرهم الدينية وحرية توفير التربية الدينية لأولادهم.

المادة 17: العمل المأجور

1. تمنح الدول المتعاقدة اللاجئين المقيمين بصورة نظامية في إقليمها أفضل معاملة ممكنة تمنح، في نفس الظروف، لمواطني بلد أجنبي في ما يتعلق بحق ممارسة عمل مأجور.

2. وفي أي حال، لا تطبق على اللاجئ التدابير التقييدية المفروضة على الأجانب أو على استخدام الأجانب من أجل حماية سوق العمل الوطنية إذا كان قد أعفي منها قبل تاريخ بدء نفاذ هذه الاتفاقية إزاء الدولة المتعاقدة المعنية، أو إذا كان مستوفياً أحد الشروط التالية:

أ- أن يكون قد استكمل ثلاث سنوات من الإقامة في بالبلد،

ب- أن يكون له زوج يحمل جنسية بلد إقامته. على أن اللاجئ لا يستطيع أن يتذرع بانطباق هذا الحكم عليه إذا كان قد هجر زوجه،

ج- أن يكون له ولد أو أكثر يحمل جنسية بلد إقامته.

3. تنظر الدول المتعاقدة بعين العطف في أمر اتخاذ تدابير لمساواة حقوق جميع اللاجئين بحقوق مواطنيها من حيث العمل المأجور، وعلى وجه الخصوص حقوق أولئك اللاجئين الذي دخلوا أراضيها بمقتضى برامج لجلب اليد العاملة أو خطط لاستقدام مهاجرين.

المادة 18: العمل الحر

تمنح الدول المتعاقدة اللاجئين المقيمين بصورة نظامية في إقليمها أفضل معاملة ممكنة، وعلى ألا تكون في أي حال أقل رعاية من تلك الممنوحة للأجانب عامة في نفس الظروف، في ما يتعلق بممارستهم عملا لحسابهم الخاص في الزراعة والصناعة والحرف اليدوية والتجارة، وكذلك في إنشاء شركات تجارية وصناعية.

المادة 20: التوزيع المقنن

حيثما وجد نظام تقنين ينطبق على عموم السكان ويخضع له التوزيع العمومي للمنتجات غير المتوفرة بالقدر الكافي، يعامل اللاجئون معاملة المواطنين.

المادة 21: الإسكان

فيما يخص الإسكان، وبقدر ما يكون هذا الموضوع خاضعا للقوانين أو الأنظمة أو خاضعا لإشراف السلطات العامة، تمنح الدول المتعاقدة اللاجئين المقيمين بصورة نظامية في إقليمها أفضل معاملة ممكنة، على ألا تكون في أي حال أقل رعاية من تلك الممنوحة للأجانب عامة في نفس الظروف.

المادة 22: التعليم الرسمي

1. تمنح الدول المتعاقدة اللاجئين نفس المعاملة الممنوحة لمواطنيها في ما يخص التعليم الأولي.

2. تمنح الدول المتعاقدة اللاجئين أفضل معاملة ممكنة، على ألا تكون في أي حال أقل رعاية من تلك الممنوحة للأجانب عامة في نفس الظروف، في ما يخص فروع التعليم غير الأولي، وخاصة على صعيد متابعة الدراسة، والاعتراف بالمصدقات والشهادات المدرسية والدرجات العلمية الممنوحة في الخارج، والإعفاء من الرسوم والتكاليف، وتقديم المنح الدراسية.

المادة 23: الإغاثة العامة

تمنح الدول المتعاقدة اللاجئين المقيمين بصورة نظامية في إقليمها نفس المعاملة الممنوحة لمواطنيها في مجال الإغاثة والمساعدة العامة.

لمادة 26: حرية التنقل

تمنح كل من الدول المتعاقدة اللاجئين المقيمين بصورة نظامية في إقليمها حق اختيار محل إقامتهم والتنقل الحر ضمن أراضيها، على أن يكون ذلك رهنا بأية أنظمة تنطبق على الأجانب عامة في نفس الظروف.

المادة 33: حظر الطرد أو الرد

1 - لا يجوز لأية دولة متعاقدة أن تطرد لاجئا أو ترده بأية صورة من الصور إلى حدود الأقاليم التي تكون حياته أو حريته مهددتين فيها بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو بسبب آرائه السياسية.

2 - على أنه لا يسمح بالاحتجاج بهذا الحق لأي لاجئ تتوفر دواع معقولة لاعتباره خطرا على أمن البلد الذي يوجد فيه أو لاعتباره يمثل، نظرا لسبق صدور حكم نهائي عليه لارتكابه جرما استثنائي الخطورة، خطرا على مجتمع ذلك البلد.

ترى هل يحتاج اللاجئ السوري لعهود ومواثيق دولية تحفظ أدنى حقوقه خاصة في الدول العربية، فمع ما تتناقله وسائل الإعلام من أخبار عن لاجئين سوريين يعانون أشد الظروف الأنسانية بؤسا على الحدود المصرية الليبية، وعن إضراب العشرات من اللاجئين السوريين في الأردن عن الطعام احتجاجا على سوء الخدمات واكتظاظ السكن، وكذلك عودة العشرات منهم لبلدهم واتهامات للأجهزة الأردنية بتسفير بعضهم وادعاءات بالاعتداء عليهم. وأنباء عن عجز تركيا الجار القوي عن حماية اللاجئين في المناطق الحدودية، وعن طلب الحكومة التركية أقوى اقتصاديات المنطقة لمساعدة من قطر والسعودية لمساعدتها على استقبال اللاجئين السوريين، وأنباء عن تعامل حكومة المالكي اللاإنساني مع اللاجئين الفارين سيراً على الأقدام إلى أراضيها، وما تؤكده لجان التنسيق لشؤون اللاجئين السوريين في لبنان، بأن عدد اللاجئين غير المسجلين في لبنان يفوق بكثير ما تعلنه المفوضية العليا للاجئين، وعن اعتداءات عناصر "حزب الله" اللبناني المتكررة على اللاجئين في الحدود، والحرب الإعلامية التي يخوضها الفصيلان القويان في لبنان والتي كان موضوعها الأساسي اللاجئين السوريين، دون النظر إلى أوضاعهم الإنسانية، ليصح قول الشاعر "وظلم ذوي القربى أشد مضاضة".

ترى هل احتاج لاجئ لعهود ومواثيق دولية لاحتضانه في سوريا، عدت بالذاكرة لاستقبال سورياً للأرمن في بدايات القرن وللفلسطينيين في أواسطه مع تشريع ميزَ في كثير من الأوقات لصالح الفلسطينيين، مروراً باللاجئين العراقيين وما تحمله المواطن السوري من أعباء اقتصادية ومعاشية نتيجة توافدهم إلى سوريا، لأصل لحرب تموز 2006 والتي شهدت أرقى أشكال الحراك المجتمعي لاستقبال الإخوة اللبنانيين الذين اقتسم الشعب السوري معهم طعامه ومسكنه ولم يخطر بباله سؤال أحدهم عن ميوله وتوجهاته السياسية، حمدت الله على نعمة التذكر والتي لم يفقدها الشعب السوري، لكن يبدو أن نصر الله والمالكي وغيرهم نسوها أو تناسوها، لكن التاريخ لن ينساهم وسيضعهم في السطر الذي يستحقون...

لن يدوم هذا الكابوس والشعب السوري لن يهرب مشياً على الأقدام بعد اليوم، فهو فارس النور الذي يصفه "باولو كويلهو" أنه بصرف النظر عن مدى قلقه، فهو يستخدم كل ما في حوزته من خطط ليحقق هدفه، وعندما يرى أن قوته توشك أن تنفذ، يجعل خصمه يظن أنه فقط يتربص مستحينا الفرصة، وإن عزم على بدء المعركة على الفور، تظاهر بأنه متعب ويستعد للنوم.... أصدقاؤه يقولون: "انظروا، لقد فقد كل حماس" لكنه لا يولي الاهتمام لملاحظات كهذه... ففارس النور يعرف ما يريد، ولا حاجة له أن يضيع الوقت في الشرح "

قريباً سيكف السوريون عن اجتياز الحدود وسيحددون وجهتهم، واستعير هنا من "علي حمادة" عنوان مقاله الأخير في جريدة النهار.. "الرحلة الأخيرة إلى القصر الجمهوري".

أضـــواء الثـــورة

■ خالد كنفاني

شفيق أم مرسي؟

قد يبدو السؤال في موقع غريب في افتتاحية مقال عن الثورة السورية، ولكننا لاحظنا جميعاً التركيز الشديد على مسألة الانتخابات المصرية بكل أحداثها المشوقة ومفاجآتها المتلاحقة إلى درجة أنها غطت على عدد الشهداء المتزايد في شوارع سوريا من أقصاها إلى أقصاها. كان زخم الانتخابات المصرية كافياً لسحب البريق الإعلامي من الحدث السوري المضرج بالدماء وكأننا كان ينقصنا أحداث كهذه فتصبح حجة لإراحة الضمير العالمي لبعض الوقت.

بينما كان المصريون يناقشون ويتجادلون حول رئيسهم القادم، كان عشرات الآلاف من السوريين يبحثون عن مأوى، وأحياناً عن جرة غاز، وتارة عن بضعة ليرات يتسولونها في زمن أصبح فيه القابض على الليرة "كالقابض على الجمر". كان المصريون يطالبون مرشحيهم للرئاسة بآلاف الطلبات التي بقيت عالقة لعشرات السنين دون أن يلبيها أحد، بينما كان النظام السوري يطالب السوريين إما بالرحيل أو الموت تحت الأنقاض. كانت المفارقة قاسية جداً علينا ونحن نغبط إخوتنا في العروبة على عرسهم الديمقراطي الذي وإن بدأت تشوبه بعض الشوائب إلا أنها عثرات في الطريق ليس إلا، ولكن الخطوات في مجملها تسير نحو التعددية والانفتاح السياسي ولو بعد حين.

مات مبارك أم ليس بعد؟

ها هي نشرات الأخبار تختصر أمة في رجل بعد أن كان إعلام الحكم الواحد قد فعل ذلك من قبل. "هو الآن على السرير"، "هو يرفع يده الآن"، "خبر عاجل: مبارك يرفض النزول من الطائرة (ما بنزل ما بنزل!)"، "خبر أسرع: مبارك رضي أن ينزل". مهزلة إعلامية كانت دول الخليج ترد المعروف لصاحبها رافضة إهانته باعتباره "رجل المرحلة" بينما يسقط آلاف الرجال الحقيقيين في حمص وإدلب ودير الزور وغيرها كجنود مجهولين بعضهم لم يحارب أصلاً ولم يرد حرباً. ينام فرعون مصر ويتم علاجه في أفخم المستشفيات بينما يحاصر أكثر من ثلاثة آلاف سوري في ملجأ تنعدم فيه كل الخدمات الأساسية في المناطق الحدودية السورية الأردنية. هو الإعلام إذا: "يعزّ من يشاء ويذل من يشاء"، وما عليك إلا أن تكون صديقاً لإعلامي أو قريباً من أحد ممن سبقوك إلى أضواء الاستديوهات حتى تبدأ عملية تلميعك واختيار اللقب الإعلامي الأقرب لشخصيتك ولسياسة القناة التي ستدفع لك. عليك الصراخ وعلينا الدفع، يكفي أن تكون ذا حنجرة ملتهبة حتى تتنقل بين محطة وأخرى.

وفاة ولي العهد السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز

مرة أخرى يأتي من يخطف الأضواء من الثورة السورية حتى وهو في قبره. ليس جديداً تمجيد الزعماء حتى وهم في أكفانهم، فلا يزال هناك بعض من العرب على ما نشؤوا عليه من "تحريم الخروج على ولي الأمر" و"تحريم المظاهرات" بفتاوى متقنة الصياغة ركيكة الهدف، وليست مصادفة اختيار مفتين عميان في المملكة البترولية العتيدة "للشهادة" على الناس والمجتمع. فجأة أصبح "الفقيد" رجل كل العصور وفارساً ترجل وسيفاً من سيوف الله. كان ذلك كافياً لخطف بريق الثورة السورية واختصار قنوات بأكملها في نعي الراحل الكبير بينما يتم اختصار المئات في نعي الإنسانية كلها على ذات القنوات. هل هذا النظام محظوظ إلى هذه الدرجة أم أنه القدر الذي قرر التآمر أيضاً على سوريا لينضم إلى "أصدقاء سوريا" الأشاوس؟

قمة الأرض - ريو دي جانيرو

أية أرض؟ أيهما أسرع قتلاً وفتكاً بالبشر، أكسيد الكربون أم الرصاص؟ يعيش العالم الآخر البعيد ترفاً سياسياً وثقافياً ذا بعد آخر. فمنظر القمة التي غاب عنها زعماء العالم المؤثرين يبعث على الرهبة ولكنه لم يكن كافياً لوقف أكسيد الكربون. وقد استغربنا غياب أعضاء المجلس الوطني عن قمة الأرض باعتبارهم مشغولين بإعادة هيكلة مجلسهم الموقر بينما يقوم النظام بإعادة هيكلة كل المدن السورية عبر محو كل البنى الديمغرافية والجغرافية والاجتماعية. كان على المجلس الوطني أن يضم ريو دي جانيرو إلى قائمة وجهات السفر المفضلة لأنه لم تبق مدن كثيرة في العالم لم يزرها بعد حاملاً علم الاستقلال الذي تحول إلى تذكرة طائرة وتأشيرة دخول إلى كل بلدان العالم الغربية والشرقية والشمالية والجنوبية. الأرض التي تحترق في سوريا كانت أولى بقمة تنقذها من غازات المدافع والقذائف، فالسوريون على استعداد لاستضافة كربون العالم كله للخلاص من النيران التي تأكل حياتهم وعائلاتهم كل يوم.

ثوار التويتر

هو عنوان لمقالة نشرها موقع قناة "العربية" للكاتب جعفر رجب. تسلط المقالة على مقارنة طريفة بين "محدثي الثروة" وهم معروفون لدينا في كل بلد عربي و"محدثي الثورة" وهم من يعرّفهم بأنهم مجموعة يزداد عددها يوماً بعد يوم تمتهن الصياح وتقتني أفخر الهواتف المحمولة "دعماً للثورة". لم يبتعد الكاتب كثيراً عن الحقيقة، فالطارئون على الثورات والسياسة كثر، وهذا ليس عيباً فكل إنسان يبدأ بالتعلم ثم يكبر ويتطور. ولكن مشكلة "محدثي الثورة" في أنهم لا يتعلمون، بل إنهم ورغبة منهم في "إرضاء الشارع" كما يقولون يمارسون التشبيح الثقافي والإعلامي في أشنع صوره. ولن أدخل هنا في متاهات المقارنة بين شبيحة النظام وشبيحة المعارضة، كما لن أدخل في النقاش السفسطائي المتعلق بقمع أربعين عاماً وغيرها من الحجج الممجوجة والسخيفة، ولكن المهم أن "ثوار التويتر" لا يزالون على قناعة بأن الكلام هو طريق الحرية، وأن الصراخ هو الوسيلة الوحيدة لإسماع السيدة الحسناء هيلاري صوت السوريين الذين يموتون وهم في بيوتهم أو تحت الملاجئ.

"ثوار الديجيتال" اليوم يرون أن إعلان ولادة ابن لأحدهم هو دعم للثورة غير ناسين إدراج فيديوهات قتل الأطفال السوريين والتسول باسمهم في شوارع مصر والسعودية وقطر. بينما وجد آخرون في الإشارة إلى مدى تعاطف "خادمته الاندونيسية" مع الثورة خدمة للقضية السورية ونصرة للسوريين الذين لم يعودوا يجدون ما يقيتهم بينما يرى أحدهم أننا "لن ندخلها أبداً ما داموا فيها" وللاستشهاد بالآيات هنا تدعيم لرأيه المقدس الذي لا يقبل التأويل وهو بذلك يرى في نفسه أرفع وأهم من أن يدخل سوريا ويشاطر أهلها معاناتهم ولو لشهر واحد.

لم يعد غريباً أن نجد العالم يجتمع من أجل سوريا بينما يديرون ظهورهم لكل السوريين، وعندما يدعي البعض اليوم بأنه "فوجئ" برد فعل العالم على ما يجري في سوريا فذلك يعكس القصور المريع في الرؤية وفي الخبرة السياسية الضحلة والمعرفة التاريخية الضعيفة. لا يزال المعارضون يصيحون وينوحون على الشاشات مطالبين وزير الخارجية الروسي أو الصيني بمشاهدة فيديوهات اليوتيوب لإثبات القتل في سوريا وكأن أجهزة الاستخبارات في تلك البلدان عمياء أو أنها نائمة أو ليست لدى تلك الدول أجندات وتحالفات وتفاهمات دولية عصية على الفهم في كثير من الأحيان. عندما يصبح الصراخ وسيلة للتربح والشهرة فلست أبحث عن بوق يمثلني، فلدي صوتي الخاص ولا أريد من يتكلم بالنيابة عني، وبالأخص عندما ينطق كفراً.

يكمن لب المأساة في سوريا في أن أشباح المشاريع الوطنية والسياسية التي يقدمها كل المعارضين منفصلة تماماً عن الواقع وبهياً لنا أحياناً أنها تتحدث عن بلد في المريخ. فالكلام عن "نقل السلطة لمجلس انتقالي" و"إجراء انتخابات" و"تسلم السلطة العسكرية من قبل الجيش الحر" لم يقنع حتى وزير الزراعة في الغابون! الفرق الجوهري بين معارضينا وبين كل الأجهزة الغربية والشرقية في الخارج هو المعلومات الاستخبارية والدراسات الاجتماعية والثقافية الهائلة التي تحفل بها مجلات وكتب الدراسات في مراكز القرار في تلك البلدان، أما أشباه المثقفين والذين قرؤوا قليلاً من نيتشه مع شيء من ماركس وسمعوا بابن خلدون في الإعلام فهم يتكلمون عن بلد غير سوريا بكل تأكيد. إن مجرد وجود مصطلح "تسليم السلطة" يثير الضحك لدى أصغر محلل سياسي غربي يعلم حقيقة النظام وخفاياه. كما أن الكلام عن وحدة وطنية مغرقة في الرومانسية لا ينطلي على حملة العقول الدارسة والتي تقضي أربع عشرة ساعة يومياً في التحليل والدراسة بينما يقضيها "ثوار الديجيتال" على الفيس بوك للإعلان عن مقابلاتهم التلفزيونية ونشر الفيديوهات وتزويدنا بآخر أخبار عائلاتهم التي تعيش معهم في الخارج بعيداً عن كل خطر في سوريا.

بعد أن أصبح أمر الحرب الأهلية أمراً واقعاً وبعد أن لاحت في الأفق ملامح تقسيم هذا البلد، فإن رجالاً على مستوى القضية يجب أن يظهروا اليوم ولكن بشروط غاية في الصعوبة. على هؤلاء أن يترفعوا عن أهوائهم وعن الشتائم والصياح والتهويل. على هؤلاء أن يعودوا جميعاً إلى سوريا ويعطونا من "فكرهم" و"تنظيراتهم" على الأرض وليس في الفضاء. عندها فقط نقول أن الثورة أنجبت قادتها، أما بطولة الفنادق فلن تنفع أبداً في الخنادق، ولن يذكر الناس إلا من وقف إلى جانبهم وعاش معاناتهم وسيلفظ كل المارقين والعابرين والمتسلقين، ومارقو الثورة أشد خطراً وفتكاً بها من مارقي النظام.

آخر الكلام: يقول الشاعر:

ليس كل من مات بميت
إنما الميت ميت الأحياء

عن حرب العصابات الثورية في سورية

■ روزا ياسين حسن

قبل أسابيع قليلة نشرت صحيفة «ديلي تلغراف» البريطانية تقريراً بعنوان: «ثوار سورية يهجرون المدن الكبرى ويشنّون حروب عصابات»، أعدّته روث شيرولك مراسلة الصحيفة في بيروت. ويتحدّث التقرير عن التغيّر الذي طرأ على تكتيك «المقاومة السورية المسلحة»، وكيف اضطرت للتخلي عن خططها في السيطرة على مناطق في المدن الكبيرة والبلدات إثر سلسلة من الهزائم اعترف بها زعماؤها، ووجدت بديلاً هو تغيير إستراتيجيتها واللجوء إلى شنّ هجمات متفرقة وحروب عصابات!

يبدو واضحاً بالنسبة الى قارئ التقرير، كما بالنسبة الى المطلع على حركة الثورة وصداها الإعلامي والسياسي، المحاولات الحثيثة من جهات عدة، داخلية كانت أم خارجية، لتكريس تنامي حركة الثورة السورية باتجاه حرب العصابات! وربما كان في ذلك جزء من الحقيقة، فالثوار اكتشفوا خطأهم في ما يتعلق بمجابهة الجيش النظامي وهو يفوقهم عدداً وعدّة، وذلك بعد الدمار الذي منيت به غالبية المناطق السورية كحمص وإدلب مثلاً، كما يكمن الجزء الآخر من الحقيقة في كون التسلّح أضحى واقعاً وضرورة في الثورة السورية من الصعب إغفاله أو الاستمرار في التشديد على سلمية الثورة، على رغم أهمية بقاء الجزء السلمي فيها سلمياً حتى النهاية.

ولكن وسط تأكيد دول الغرب (المعنية) عدم رغبتها أو نيّتها التدخل عسكرياً في سورية، وخصوصاً بعد تصريحات أوباما الأخيرة حول عدم إمكانية ذهاب النظام السوري بالقوة، ووسط وضوح عدم رغبة الدول المعنية أيضاً بتسليح المعارضة تسليحاً (حقيقياً) يمكّنها من مجابهة جيش النظام مخافة دخول المنطقة في أتون حرب عامة، خرج تيار في المعارضة السورية يرى أن المقارنة بين تجربة «التوباماروس» في الأوروغواي وحرب العصابات السورية هي مقارنة صحيحة وناجعة، وما من حلّ آخر للوضع المتأزم والمستعصي سواه. هذا ما جعل الإحالات التاريخية، سواء في حرب العصابات الكوبية أو الفيتنامية، ملهمة لتأكيد نجاح تلك التكتيكات الجديدة في الثورة السورية.

وفي الحقيقة، هناك بعض الأمور المشتركة بين الأساليب التي يستخدمها الثوار السوريون وبين حرب العصابات ومنها تكنيك المباغتة، وهو الأسلوب الأهم في القتال ضد التنظيمات التقليدية، حيث يتفادى الثوار الالتحام في معركة مواجهة، ويلجأون إلى معارك صغيرة تتسم بالسرعة والحسم ضد أهداف معينة، كمهاجمة الحواجز العسكرية والمراكز الأمنية والكمائن والإغارة وغيرها. ومن التقنيات المشتركة أيضاً شنّ الهجمات ليلاً مستغلين الظلام، وهذا ما التقطه النظام تماماً حيث عمل على وضع رجال أمنه (المدللين) في النهار على الحواجز فيما يزج بشباب الجيش، وغالبيتهم من الذين يقضون خدمتهم الإلزامية، في ظلام الليل.

وإذا اعتبرنا أنه من نافل القول الحديث عن وحشية النظام السوري الاستثنائية، وعدم رغبته في حلّ سياسي كما استخدامه للشعب كدروع بشرية، لأنها وقائع باتت جلية حتى لقطاع كبير من مؤيديه، فيمكننا الحديث عن أمرين آخرين، مختلفين وجوهريين، يقفان في وجه نجاح المقارنة بين حرب العصابات في الثورة السورية وحرب العصابات في ثورات التاريخ. الفارق الأول يتمثل في كون حرب العصابات، كما ينظر لها تشي غيفارا، أقرب إلى خلية مسلّحة تشكل خط الدفاع الأول للشعوب. وتستمد قوتها من المدّ الجماهيري العارم. الأمر الذي لا يتوافر حقيقة في الوضع السوري، فمستويات التسلح مقسّمة إلى ثلاثة مستويات:

المستوى الأول، وهم المدنيون الذين حملوا السلاح، سواء في المناطق الحدودية التي تحوي السلاح أصلاً، أو في الأماكن التي تم اقتناء السلاح فيها واستقدامه إليها. السبب الرئيس لحملهم السلاح وتخليهم، جزئياً أو كلياً، عن سلمية الثورة هو الدافع الأخلاقي والشخصي، أي حماية أهلهم وذويهم وأنفسهم من بطش النظام المطبّق عليهم، وينضمّ الى هذا المستوى بعض أبناء المناطق غير المشتعلة ولكن المتعاطفة، جزئياً أو كلياً، مع الثورة وقطاعاتها المدنية والريفية المتضررة.

هذا المستوى تتفاوت الخبرة فيه بين من سبق وتدرب على حمل السلاح ومن لا يمتلك أية خبرة تذكر، ولكنها، بالعموم، مجموعات لا تمتلك خبرات عسكرية سياسية تمكنها من إدارة كفاح مسلّح ثوري، بل هي تحركت بدوافع أخلاقية شخصية وإنسانية. كما أن أداءها ينحصر، بالعموم، في نطاق الدفاع عن النفس أو المبادرات الفردية والخفيفة، وليس في نطاق المبادرات المدروسة والمفكر بها.

المستوى الثاني، هو العناصر المنشقّة عن الجيش السوري النظامي، وهم أقل بكثير من عدد المدنيين المسلحين، ولا أعتقد أن في إمكان أحد حصر عددهم بدقة، حتى وإن تم تقديره بعشرات الآلاف. هؤلاء يشكلون: الجيش السوري الحر. ويبدو مفهوماً ومعروفاً السبب المؤدي إلى انشقاق أولئك حين عمل النظام على زجّهم في خيارين لا ثالث لهما: إما أن تَقتِل أو تُقتَل. وتبدو واضحة أيضاً خبرتهم العسكرية الجيدة، كما تحليهم بما يشبه إدارة عسكرية مضبوطة، نوعاً ما، تجاه المستويات المسلّحة الأخرى. ولم ينجح هذا الجيش حتى اليوم بإخضاع المجموعات الثائرة المسلحة على طول التراب السوري لإدارته حتى الآن، لأسباب كثيرة أهمها ضعف الإمكانات المادية والعسكرية واللوجيستية، وحالة الفوضى التي خلقها العنف الوحشي لآلة النظام العسكرية.

المستوى الثالث، هم أولئك الذين استغلوا الفوضى والأوضاع الأمنية غير المستقرة وباسم الثورة والجيش الحر راحوا يرتكبون أفعالاً غير أخلاقية، من سرقات واعتداءات وجرائم. وأظن أن جزءاً منهم صنيعة النظام، وجزءاً آخر موجود في أي منطقة وطائفة وشعب... وقد تم استخدام التصرفات اللاأخلاقية التي يقوم بها هؤلاء لتشويه صورة الثورة والثوار.

هذه المستويات الثلاثة تبيّن المشكلة التي تعاني منها الثورة في تسلّحها وهي عدم التنظيم. وهذا بالضبط ما يشكّل الفارق الأول بين حرب العصابات السورية وحرب العصابات في التجارب الثورية الأخرى في العالم. وما على المعارضة العمل جاهدة لتحقيقه، لإيجاد حلّ ناجع لذلك الواقع المتأزم، وهو تنظيم حقيقي للجيش الحر ومأسسة السلاح الثوري المبعثر لتذويب المجموعات المسلّحة الأخرى فيه تحت قيادة عسكرية وسياسية. بالتالي ضبط ردود أفعال الثوار وتحركاتهم وخططهم واستراتيجياتهم المقبلة، وهذه أمور يرتبط بها نجاح الثورة حقيقة أو فشلها.

الفرق الثاني يتعلق ببنية المجتمع السوري، تلك البنية المركبة والمتداخلة طبقياً وطائفياً وإثنياً وكذلك ثقافياً، مما يجعل الصراع غير مقتصر على الصفة السياسية فيه، بل يتداخل لتُزجّ فيه الاعتبارات ما قبل المدنية، فلا تتلخّص حرب العصابات هنا كثورة في وجه الديكتاتور فحسب، بل ربما تتطور إلى ما يشبه حرباً أهلية، خصوصاً أن النظام السوري لم يوفّر طريقة لزجّ الأقليات في حربه ضد الأكثرية، وبالتالي شرخ المجتمع وتفتيته.

لنتذكر أن اليساري خوسي موخيكا، وهو أحد أهم زعماء حركة التوباماروس، تحوّل من زعيم حرب عصابات إلى وزير الثروة الحيوانية والزراعية والى عضو في مجلس الشيوخ قبل أن يغدو رئيساً للبلاد العام 2010! ذلك أن التوباماروس اختارت العمل السياسي بعد عودة الديمقراطية، كما أن النظام هناك بدأ سلسلة من التغييرات السياسية والاقتصادية أفضت بالبلاد إلى الديمقراطية.

لا أعلم إلى أي مدى من الممكن أن تنجح هذه التجربة، أو جزء منها، في الوضع السوري، لكن ما أعرفه أنه وضع مأزوم، سيجعل الثوار يبحثون عن حلول مختلفة إذا أصرّت الدول (المعنية) على موقفها الحيادي وأصرّت المعارضة على تشظيها.

الحياة اللندنية 20 / 6 / 2012

ذاكرة العنف: "موت خوف وكره، تلك التي تشكّل ذاكرة أطفالنا"

■ روزا ياسين حسن

لم يستطع أحد أن يقنع الصغير (م)، الذي لم يتجاوز الثانية عشر من عمره، أن يبوح بما حصل معه في فروع الأمن أثناء اختفائه هناك لشهور. وحده الطبيب من أخبر أمه بأن التهتكات التي تعاني منها مناطقه الحميمة، وكذلك نهاية جهازه الهضمي، تنبئ بحجم الاعتداءات الجنسية المتكررة التي جرت عليه في فترة الاعتقال!.

لكن ما جرى على (م) لم يجر عليه وحده، ذلك أن حجم الانتهاكات الجَسدية والمعنوية النفسية التي تعرّض لها آلاف الأطفال السوريين، منذ خمسة عشر شهراً وحتى الآن، لا يمكن أن تقدّر بعددها فحسب، بل بالتبعات الجسيمة التي خرّبت ذاكرة أولئك الأطفال، وجعلت (م) يصاب بالهيستيريا إذا اقترب منه رجل، أي رجل، حتى لو كان أبوه! كما جعلته ينوء يومياً بكوابيس التعذيب الذي كان يطبّق على المعتقلين أمامه!

"ما كنت أقدر نام.. أصوات التعذيب جنبي كل الليل.. كنت شم ريحة الدم"..

هذه هي المعلومة، شبه الوحيدة، التي أسرّ بها (م) هامساً، قبل أن يبدأ علاجاً نفسياً ممنهجاً قبل مدة قصيرة.

و(م) اعتقل من أمام باب مدرسته الابتدائية في إحدى بلدات ريف دمشق، كغيره العشرات في ذلك الصباح الذي شهد مظاهرة طلابية صاخبة. وكغيرها من المدارس كذلك عاش طلابها فصولاً دراسية محقونة بالترقب، وبدوريات الأمن التي تصطف أمامها وبمجموعات الشبيحة التي تقتحمها في معظم الأحيان. هذا ما جعل ذاكرة مثقلة برائحة الخوف تعشش في وجدان تلاميذها، وتنبئ بتبعات خطيرة في القادم. ولئن كانت التقارير والإحصاءات المتوالية والمعنية بانتهاكات حقوق الطفل في سوريا تسبب صدمات إنسانية للمتابع، وآخرها إحصاء الشبكة العربية لحقوق الإنسان الذي يفيد عن ما يقرب 2000 طفلاً استشهدوا في سوريا منذ بدء الثورة، وكذلك تقرير الأمم المتحدة عن اعتبار سوريا في رأس قائمة البلاد التي يتعرض أطفالها لانتهاكات جسيمة من تعذيب واعتداء جنسي واستخدام كدروع بشرية، إلا أن الأخطر هو تفاصيل ذاكرة العنف التي تنقش عميقاً، ويكبر عليها من تبقى من أطفال سوريا، أولئك الناجين من المجازر والقصف والتفجيرات والرصاص الطائش!!

الصغيرة (س) أيضاً كانت واحدة من أفراد إحدى الأسر الحمصية النازحة، وقد استطاعت النجاة من قصف الخالدية قبل أن يلتجئوا إلى بيت الخالة في دمشق. حين دخلت (س)، التي لم تتجاوز العاشرة، البيت (الآمن) لم تشعر بأنه يشبه تلك الجنة الموعودة مقابل الجحيم الذي كانت تعيشه، فبيت الخالة مليء بالشبابيك، الأمر الذي جعل (س) تصرخ بهيستيريا وهي تختبئ خلف أمها، وتنادي بأن الشبابيك الكثيرة ستسمح للرصاص الطائش والشظايا باقتحامهم.. ثم حينما لمحت البناء العالي المقابل ازداد صراخها المرتعب وهي تشير إليه وتلهث:

"هذا البيت ما ممكن السكن فيه.. مكشوف كله للقنّاص فوق البناء هنيك.. هنيك شوفوا.. قناص".

ولم تجدِ نفعاً كل محاولات الخالة لإقناعها بأنه لا يوجد قناصة هنا ولا رصاص طائش، فلم تهدأ الصغيرة حتى جلس الجميع في غرفة داخلية خالية من الشبابيك، وبعد أن اقتنعت كذلك بأن ثمة قبواً في البناية من الممكن الالتجاء إليه في حال بدأ (القصف)!. ومع ذلك ظلت عيناها تنضحان بترقب دائم يجعل أي صوت يصدر في المحيط سبباً لدخولها في حالة من بكاء مجنون.

(س) واحدة من عشرات آلاف الأطفال السوريين الذين يعانون من رهاب عنف مماثل، ومن تبعاته التي طالت معظم المناطق. إنها ذاكرة مقيمة عنوانها العنف: القصف والضرب وإطلاق الرصاص ورائحة الموت المحيط هي التي يؤسس ذاكرتهم اليوم. في كثير من المناطق الثائرة تسجّى الجثث على الأرض، وأحياناً تكون مقطعة الأوصال مدمّاة، والأطفال يتحلقون حولها، فالشهيد قد يكون الأب أو الأخ أو القريب أو الجار! وهذا لا يخصّ شهداء المعارضة فحسب، فأطفال رجال الجيش النظامي، والكثير منهم أقرب إلى أدوات بيد النظام، يتعرضون للقهر ذاته حين يسجّى جسد من يخصّهم شهيداً أمامهم، وما أكثرهم اليوم!

الأمر بوضوح يخصّ ذاكرة طفولة تتخرّب، تتبدل فيها القيم التي من المفترض أن تبنى عليها إلى قيم مختلفة. إحدى هذه القيم هي نظرة الأطفال إلى (حماة الديار)! فلطالما كان جيش البلاد مدعاة للطمأنينة في وجه العدو، هذا على الأقل ما كان يتم زراعته في ذاكرتهم على مدار الزمان. اليوم يبدو جيش البلاد هو العدو بعينه في عيون أطفال المناطق المنكوبة. يتّضح هذا في الكثير من ردود أفعال الصغار وفي نتاجاتهم أيضاً.

(ع) مثلاً طفل من إحدى البلدات المشتعلة في ريف حلب، ولم يفلح لجوء أهله إلى بيت أقربائهم في حلب المدينة في تهدئة خوفه، فما زال يبكي مرتجفاً حالما يسمع صوت الأذان يعلو، كأنه نذير حرب، لاعتقاده بأن إطلاق الرصاص على المظاهرات سيلعلع للتو. وحينما قدم ابن العائلة المضيفة في زيارة وهو يرتدي لباس الجيش، لأنه يقضي خدمته الإلزامية، صار (ع) يصرخ زاعقاً وهو يشير إليه وكأن ثمة وحشاً دخل البيت، ثم هرب وأخوته الصغار ليختبئوا تحت الأسرّة! كان مجرد رؤية لباس الجيش بالنسبة إليهم سبباً كافياً للذعر الهيستيري.

وإن كان تخريب الذاكرة بالعنف والموت واغتصاب الطمأنينة هو عنوان لطفولة المناطق المشتعلة، فإن أطفال المناطق غير المشتعلة لا يعيشون في الجنة! ذلك أن مظاهر العسكرة التي تملأ المدن والبلدات، المسلحون والدبابات والمدرعات والحواجز والسواتر وغيرها، كذا أصوات القصف البعيد والقريب، مشاهد الدمار المنتشرة في كل مكان، كل ذلك الحقن الطائفي والمناطقي والطبقي، الفقدان والموت اليومي المحيط، والخوف والترقب وهيستيريا البقاء، الذي ينقلها إليهم الكبار، لا يقل كل ذلك في تأثيره المخرّب لذاكرتهم القادمة!!

قبل أيام كان هناك صبي آت إلى الامتحان في يومه الأخير ومعه بارودة بلاستيكية تكاد تفوقه طولاً، ويرتدي بذة عسكرية مرقطة. يمشي ويطلق النار (الوهمية) على رفاقه. ثمة من ابتعد عنه، وثمة من شتمه، وثمة من حاول التمسّخ فيه قائلاً: "بتقدر تحميني إذا هجم عليّ حدا؟".

أطفال سوريا هم أكثر الشرائح التي ستعاني من تبعات العنف الذي نعيشه، لأن الغد سيبنى بهم. ولئن كان ثمة مراحل قطعها أولادنا في الثورة السورية لجهة كسر الخوف من الطغاة وأدواتهم، وتهشيم قدسية النظام وأركانه باتجاه الحرية، إلا أن العنف الشديد الذي استهلّه النظام، وعمّ كامل التراب السوري، يمهّد لأجيال ستكبر ذاكرتها في مستنقع العنف. وأعتقد بأننا مطالبون اليوم، أكثر من أي وقت مضى، بالتفكير جدياً في هذا الأمر!!

عن: موقع دحنون

إلى مارينا شحوارو

المشهد من جنازة مارينا شحوار في حلب

أنا مارينا قسطنطين
أرملة الخوري جورج شحوارو
ورفيقة مارسيل في الطريق - متأخرين- إلى البيت
المزودة بأسرار الكنيسة المقدسة
وحبات الكرز في قعر كأس العنبرية
المشغولة بالضحك في الخمسين
وعقصات الشعر الضائعة في الجوارير

* * *

أنا مارينا
العائدة من الكارلتون
حيث الحياة تتشبث في الموسيقى
وتتصلب كشجرة الصمغ

* * *

على راحتي
أرش الملح
وأنا أعلم أن المائدة لن تفسد
وأغمس إصبعي في النبيذ ليفرح القلب

* * *

أنا مارينا
التي شمت في المنعطف الخطأ
رائحة الخوف تنز من القبضات العرقانة
وتخترق الهواء كمعدن رصاصي
قبل أن تغيب القلعة في قبعة الساحر

* * *

أنا مارينا
التي لم تعلم أنها ماتت
إلا حينما أصغت مع الآلاف الذين يرتدون الأبيض ويلوحون بالورد
إلى صوت الكاهن في كنيسة النبي إلياس:
يا أحبائي
لنردد جميعا بين يدي الرب
وبقلب خاشع
لراحة نفس ابنتنا.. حاملة الإكليل إلى الذي في السموات...

* * *

الفاااااتحة

فؤاد م. فؤاد

صديقي السلفي أيضاً مع الثورة

■ ليلى السورية

انقطعت أخبار فداء منذ أيام. لا كتابات جديدة على الحيطان، ولا أحد رآه في أي مظاهرة، ولم ترد حتى أي أنباء عن اعتقاله.

فداء، الشاب الذي التحق بالثورة السورية منذ عام مضى وهو طالب في السنة رابعة بكلية الاقتصاد بجامعة دمشق، سلفيّ، ويقوم بتدريس الصغار علوم الفقه في جامع البوطي. كان يمرّ بأحد أحياء دمشق عائداً من جامعته، حيث شاهد باصاً للأمن السوري، يزج عناصر الأمن المتظاهرين إلى داخله ويقومون بضربهم بأعقاب البنادق. غضب فداء لهذا المشهد، كما يقول أحد أصدقائي الذي شهد الحادثة، والتفت إلى رفيقه قائلاً:

- هل تريد الاستشهاد؟

أجابه صديقه دون تردد:

- نعم.

اندفع فداء إلى باب الباص حيث ألقيت بندقية هناك، بينما قام صديقه بحماية ظهره، وحمل تلك البندقية ووجهها إلى عناصر الأمن مهدداً بأنه موجود هنا ليموت. "أنا طالب شهادة"، صرخ بهم، مجبراً إياهم على إنزال المتظاهرين الذين اعتقلوهم.

"أنزلوهم"، قال لهم. "إنصرفوا الآن، نحن لن نطلق النار". ركبوا باصهم، فأرسل صديقه يغلق الباب وراءهم مطلقاً النار في الهواء، ثم هرب.

"السلفية" كانت إحدى التهم التي وجهها النظام إلى المتظاهرين السوريين لتشويه صورتهم، في الداخل والخارج، حيث يتم ربط كلمة السلفية بتنظيمين سياسيين: تخويف الداخل منه المتظاهرين عبر ربطهم بحركة الإخوان المسلمين، وما يلحق بها من اتهامات النظام لهم بارتكاب جرائم ضد السوريين في الثمانينات من القرن المنصرم، وتخويف الخارج منهم عبر ربطهم بتنظيم القاعدة وجرائمها.

كلمة السلفية في اللغة العربية تعني التمثل بأخلاق الأسلاف، أي الصحابة والتابعين لهم وتابعيهم، أي السابقين في العلوم الدينية. والحركة السلفية منتشرة في سوريا منذ وقت طويل، ولها أئمتها ومشايخها ومنهم في سورية: جمال الدين القاسمي (1866 - 1914)، ومحمد ناصر الدين الألباني (1914 - 1999) وعبد القادر الأرناؤوط (1928 - 2005).

بقي العديد من مشايخ السلفية المعاصرين بعيدين عن "حركة الإخوان المسلمين في سورية"، وشارك بعضهم في مؤتمرات المعارضة السورية في الداخل والخارج، من هؤلاء الشيخ محمد عيد العباسي، الذي تتلمذ على يد الشيخ الألباني منذ الخمسينات، وقد أكد في مقارنة بين نظرته كشيخ سلفي وبين منهج عمل الإخوان المسلمين في الثمانينات قائلاً:

"كنت محتجاً على ما يفعلون، والنية الطيبة لا تكفي، فالمنهج العقلاني والشرعي مطلوب، وكنا متفقين على ذلك مع الشيخ الألباني".

الشيخ محمد عيد العباسي عضو في "هيئة الإنقاذ الوطني" التي يرأسها المحامي هيثم المالح، والتي شارك في نقاشاتها ومؤتمراتها عدة جهات من المعارضة السورية، وكان الشيخ العباسي قد رد بكتابه "بدعة التعصب المذهبي"، ثم ملحقه "رسائل الدعوة السلفية"، على كتاب "السلفية" للشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، حيث اتهم الأخير السلفيين بالتعصب. وقد تعرض الشيخ العباسي للإعتقال في سجن المزة العسكري على خلفية نشاطه الديني والفكري. وهو يقول عن الثورة في سورية: "إن ثورة الشعب السوري تدعو إلى إحقاق الحق والحرية والكرامة والعدالة، و"القاعدة" ليست كذلك، وهذه الثورة ليست من أجل إقامة دولة إسلامية، بل من أجل إعطاء الحرية للناس".

بينما يعتقد جزء من السلفيّين أن طاعة الحاكم واجبة تحت أي ظرف من الظروف، يعتقد الجزء الآخر أن الدفاع عن المقدسات وعن النفس والعرض والمال هو جهاد، وهو فريضة على كل مسلم، وهو ما قام فداء بممارسته، إذ أنفق الثلاثمئة ألف ليرة سورية التي ادخرها لزواجه على الشكل التالي: مئة ألف ليرة سورية لإعانة أسر المعتقلين ممن يعرف بحاجتهم، مئة ألف ليرة سورية اشترى بها صناديق من البخاخات وأمتار من القماش وأعلام الإستقلال ومكبرات الصوت وطابعة ملونة لطباعة المناشير، ومقابل المئة ألف ليرة سورية المتبقية ابتاع قبراً له، كما اشترى كفناً.

أنظر إلى الجدران التي كنت أرى فداء بين المظاهرة والأخرى يبخّها بشعارات "سلمية وعدالة وحرية"، ويلقي المناشير في الشوارع. وآمل، أنا العلمانية، أن أرى هذا البطل بخير مجدداً، وهو يكاد لا يعرفه أحد، مع أنه اعتقل ثلاث مرات.

عن موقع: The Damascus Bureau

لمى.. ذات الشعر الطويل

■ سعاد يوسف

أكثر ما أثار انتباهي عندما دخلنا الغرفة وجلسنا، أنه لم تكن لديهم سوى لعبة واحدة. "الطابة الجنية". كرة صغيرة ملونة بألوان باهتة، لا تشبه "الطابة الجنية" بشيء. فهي لا تقفز تلك القفزات المجنونة إن رميتها، بل تكتفي بالارتفاع قليلاً ثم تهبط وتتدحرج على الأرض بكل ثقل وحزن. تذكرت طفولتي. لم تكن لدي يوماً طابة جنية، وعندما رأيتها للمرة الأولى في المدرسة والصبيان يلعبون بها خفت كثيراً فقد اعتقدت أنها ستقفز نحوي وتحطم لي وجهي. استغرق الأمر عدة أيام كي أتجاوز خوفي منها وأتجرأ على إمساكها لأكتشف أنها مجرد كرة تشبه كل الكرات وأنها لا تحطم الوجوه ولا تخدش الأصابع.

"أنا لم أملك يوماً طابة جنية". أخبرت لمى. "حقاً؟ أنا لدي الكثير من الألعاب، في بلدي. فقد اعتاد أبي أن يجلب لنا الهدايا في كل مرة يسافر فيها إلى الشام". بلد لمى هي حمص، والشام هي دمشق. عاشت سنيّها الإحدى عشر السابقة في حمص مع أبيها وأمها وأخوتها الثلاثة الأصغر منها، وهم الآن يعيشون في ضاحية من ضواحي دمشق بعد أن اخترقت إحدى القذائف منزلهم ولم يعد بمقدورهم الحياة فيه. تنتظر بفارغ الصبر أن تعود إلى بيتها، وألعابها، ومدرستها. "أحب المدرسة كثيراً. أنا في الصف السادس وسأنجح للصف السابع، لكن أمي قالت لي أنه لم تعد هناك مدرسة. بكيت بشدة. أعلم أنني سأنجح للصف السابع لكن ليست لدي فكرة أين سأدرس السنة القادمة". كيف لها أن تعلم أنها ستنجح؟ مدرستها ربما دمرت. وتلك الأوراق التي كتبت عليها الأسماء والعلامات ربما أحرقتها قذيفة ما، أو مزقتها جنازير دبابة لم تحب المدرسة والعلم يوماً، كما تحبها لمى.

استأذنت الأم كي تعد القهوة. اغتنمت الوقت كي أفرغ الألعاب والثياب من الأكياس. لم تركض لمى وإخوتها ولم يتشاجروا لإقتسام الألعاب كما يفعل كل الأطفال. بقي كل منهم جالساً مكانه ولم يحركوا ساكناً حتى عندما اقتربت لأعطي كلاً منهم لعبة. أعطيت لمى الدمية الكبيرة وأعطيت أختها الصغيرة الدمية الأخرى. للمى شعر أجمل من شعر الدمية، وعينان أوسع من عينيها. كم وددت عندما كنت صغيرة أن أمتلك مثل هاتين العينين. كنت لا أمل من مشاهدة الرسوم المتحركة، وأحلم أنني يوماً ما سأستيقظ بعينين واسعتين لامعتين، وأنف صغير، كي أشبه أية شخصية من شخصيات تلك الرسوم. سألتني لمى "هل أستطيع أن ألعب بهذه الدمية مع أختي أيضاً؟". حزنت لأن دميتها أجمل من دمية أختها، وهمست لي كي أجلب لأختها واحدة أجمل في المرة القادمة.

لمى تعرف الكثير من الأشياء. تعرف أن الغسالة اليدوية التي جلبها لهم أحد الأصدقاء الأسبوع الماضي لا تعمل بشكل جيد. "يبدو أن بعض الحصى قد علقت فيها، وفي كل مرة نضطر أنا وأمي لأن نفرغ المياه منها بأنفسنا بعد أن تنتهي من غسل الملابس". وهي تعرف أن التلفاز الصغير الموجود في الغرفة الأخرى لا يصدر منه أي صوت وأن والدها لم يستطع أن يوصل إليه أي جهاز لالتقاط بعض المحطات الفضائية. تدخلت أمها بسرعة وقالت خجلة "هذا غير صحيح. إنها مخطئة. التلفاز يعمل بشكل جيد ولا حاجة لنا بغيره"، ورمتها بنظرة علمت منها أن عليها انتظار التوبيخ بعد أن نذهب. هي تعرف عشرات الأمور التي لم أعرفها أنا حتى فترة قريبة ربما. عيناها تقولان لي أنها عاشت ما لن تنساه يوماً، لكن طفولة شبه ميتة تختبئ داخلهما في انتظار العودة إلى كل الألعاب المنسية هناك، في ذلك المنزل المهجور.

ودعت لمى وإخوتها. شددت على يدها واعدة إياها بالمزيد من الألعاب، وبأنني لن أنسى أن أجلب لأختها دمية أجمل إن أتيت مرة أخرى. في طريق العودة كان كل ما أفكر به هو ضحكتها، وشعرها الطويل الأملس الذي كانت تقارنه بشعري لتكتشف أنه أجمل وأطول منه، فتلمع عيناها فرحاً، وخجلاً. تأملت الجدران وواجهات المحال. مليئة بالكتابات. "يسقط المجرم". "يسقط البطة". "مغلق حتى إسقاط النظام". لكن ما كان يطغى على كل الكتابات والألوان هي قلوب. قلوب حمراء كبيرة على كل جدار، وتحت كل قلب كتب "أوقفوا القتل. نريد أن نبني وطناً لكل السوريين". كم وددت لو أترجل من السيارة لأرسم نجمة تلمع كعيني لمى، وأكتب تحتها "ونريد للمى أن تعود إلى منزلها، وألعابها، ومدرستها".

شهادة موثقة عما يجري في سجون عائلة الأسد في سوريا

■ أحمد أبو مطر

المناضل الفلسطيني توفيق الطيراوي، من قيادات وكوادر حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح). وقد كان رئيساً لفرع الاتحاد العام لطلبة فلسطين عام 1978 في لبنان، وعضوا في المجلس الوطني الفلسطيني منذ عام 1978 وحتى الآن، وبعد عودة السلطة الفلسطينية إلى قطاع غزة والضفة الغربية تمّ تعيينه عام 2006 مديرا عاما لجهاز المخابرات الفلسطيني حتى نهاية عام 2008، ومنذ المؤتمر العام السادس لحركة فتح في أغسطس 2009 وهو يشغل موقع مفوض عام المنظمات الشعبية في حركة فتح، ورئيس مجلس أمناء الأكاديمية الأمنية الفلسطينية حتى الآن.

بقي في لبنان بعد خروج غالبية المقاومة الفلسطينية الذي أعقب حصار بيروت من قبل الاحتلال الإسرائيلي في عام 1982، وعقب انشقاق عميلي المخابرات الأسدية أبو موسى وأبو خالد العملة عن حركة فتح بأوامر وتنسيق من ومع مخابرات حافظ الوحش، وحصارهم مع جيش الوحش عام 1983 للرئيس الراحل ياسر عرفات ومقاتليه في مدينة طرابلس شمال لبنان، وقصفهم بكافة أنواع الأسلحة إلى أن تدخلت البحرية الفرنسية واليونانية لإنقاذ عرفات ومقاتليه، قامت مخابرات حافظ الوحش بخطف المناضل توفيق الطيراوي في يوليو 1985 من بيروت، وبقيّ في سجون الوحش حتى بداية نوفمبر 1989، وبعد خروجه من السجن، قمت بزيارته في الشقة التي بقي فيها عدة أيام في دمشق، وكان يعاني من كسور في العمود الفقري وضعف في البصر من جراء التعذيب الذي تعرض له على يد سجّاني الوحش حافظ. وبعد خروجه من دمشق والتحاقه بكوادر المقاومة في تونس، بقيّ مع الرئيس عرفات حتى عاد إلى القطاع والضفة معه.

كتب المناضل توفيق الطيراوي شهادته عن تجربته المؤلمة في سجون الوحش حافظ، ونشرها في مجلة (النشرة) التي كان يصدّرها في القطاع الكاتب والصحفي الفلسطيني المرحوم خالد الزبن الذي تمّ اغتياله في مدينة غزة في بداية مارس عام 2004. وشهادة المناضل توفيق الطيراوي عن تجربته في السجن هي شهادة مئات المناضلين الفلسطينيين الذين أمضى بعضهم مثل المناضل الفتحاوي عبد المجيد الزغموط ما يزيد على ثلاثين عاما في تلك السجون ومات فيها عام 2001.

هذه هي شهادة اللواء توفيق الطيراوي

يقول توفيق الطيراوي في شهادته عن فترة سجنه في السجون الأسدية المتوحشة:

(بداية أود القول أن كل ما سأرويه في شهادتي هذه، لا يعطي إلا صورة موجزة عن حقيقة ما يعانيه جميع المعتقلين داخل زنازين وأقبية سجون النظام السوري. في تاريخ الثالث والعشرين من يوليو 1985، اختطفتني المخابرات السورية من بيروت إلى معتقل (عنجر)، وبقيت هناك أربعة أيام تعرضت خلالها لأقسى أنواع التعذيب والاضطهاد والإهانة، ثم نقلوني مع العشرات من المعتقلين الآخرين إلى فرع المخابرات السورية المعروف ب (فرع فلسطين) رقم 235 في العاصمة السورية دمشق، وبقيت في سجن هذا الفرع قرابة إحدى عشر شهرا، في قبو صغير تحت الدرج، ويعتبر زنزانة انفرادية، بعد ذلك نقلوني إلى مهجع أكبر قليلا من الزنزانة الأولى، وبقيت فيه حوالي ثلاث سنوات، ثم قاموا بنقلي إلى مهجع أكبر، وبقيت فيه إلى حين خروجي من المعتقل يوم الثاني من نوفمبر عام 1989، حيث أبعدوني إلى لبنان.

الشهور الأولى لاعتقالي التي أمضيتها في زنزانة منفردة، كانت الأقسى والأصعب خاصة الأشهر الثلاثة الأولى منها، هي الأشهر التي يخضع فيها السجين للتحقيق اليومي المكثف على مدار الأربع والعشرين ساعة، يتعرض خلالها لأقسى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي... إضافة إلى ما يعانيه السجين داخل الزنزانة (القبر)، حيث البرد القارص الذي لا يحتمله إنسان في الشتاء، والحرارة الأشد في الصيف، ولا يوجد فيها أي متنفس سوى فتحة صغيرة في الأعلى، والزنزانة خالية من دورة المياه، وهذا يعني أنه إذا رغبت في قضاء حاجتك في غير الأوقات المسموح لك بالخروج فيها، فما عليك إلا أن تتبول في ملابسك، وهذا حصل معي أكثر من مرة..

وسائل التعذيب الجسدي

كثيرة هي الطرق و وسائل التعذيب التي يمارسها الجلادون في السجون السورية ضد المعتقلين، ولديهم أكثر من ثلاثين طريقة تعذيب، ولكن سأتحدث فقط عن الطرق التي مورست في تعذيبي شخصيا داخل السجن:

أولا: الدولاب، وهذه الوسيلة يستقبل بها السجين منذ اليوم الأول لوصوله، ويتم خلالها وضع السجين داخل إطار سيارة، بحيث يكون غير قادر على الحركة ويصبح ظهره مقوسا، وتكون رجليه قريبة من رأسه، ويبدأ ضرب السجين بالكرباج، وهو عبارة عن كابل كهربائي مؤلف من عدة أسلاك معدنية، ويستمر الضرب حتى الإغماء، ويطال الضرب كل أعضاء الجسم بما فيها الأعضاء الحساسة.

ثانيا: الفلقة، ويتم فيها ربط رجلي السجين ورفعهما إلى أعلى، ويبدأ الضرب بالكابلات الكهربائية والهراوات، ويستمر الضرب حتى يفقد السجين وعيه، وهذه العملية تستعمل أكثر من مرة في اليوم.

ثالثا: الوسيلة التي عذبوني بها كثيرا، وتكاد تكون الأصعب وهي الكرسي. وهو كرسي خاص مجهز بمفاصل حديدية في منطقة اتصال المسند بالمقعد، ويربط عليه السجين من القدمين والأكتاف واليدين خلف مسند الكرسي، حيث تفتح بعد ذلك المفاصل بما لا يتيح للسجين أي شكل من أشكال الحركة، حيث أية حركة تضغط على العمود الفقري، وهذا يعني أن أي سجين إذا زاد عليه الضغط لثوان معدودة يمكن أن يؤدي إلى كسر عموده الفقري... وقد تعرض أحد السجناء لكسر في عموده الفقري جراء هذا التعذيب، وسجين آخر ينتمي إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أصيبت يداه الاثنتان بالشلل التام جراء تعذيب الكرسي، وهناك وسائل تعذيب أخرى استعملت ضد سجناء آخرين، وتضاهي الكرسي في وحشيتها، وهي البلانكو و السلّم... بالإضافة إلى وسيلة جديدة ابتكرها الجلادون، وهي الدفاية، ويقوم خلالها الجلادون بفتح رجلي السجين، ويأتون بدفاية كهربائية ذات درجة حرارة عالية جدا، ويقومون بتقريبها من أعضائه الجنسية، مما يسبب له آلاما لا يمكن احتمالها.

التعذيب النفسي

في الحقيقة، كان للتعذيب النفسي والمعنوي طوال فترة السجن التأثير الأكبر عليّ وعلى باقي السجناء، حيث أن التعذيب الجسدي، كان ينتهي بعد نهاية الآلام والأوجاع التي كنّا نعاني منها بعد كل عملية تعذيب، أما التعذيب النفسي، فكانت آثاره تستمر طوال اليوم والشهر والسنة، خاصة وأنت لا تعرف أين أنت، ولماذا أنت في السجن، وما هو مصيرك وما يمكن أن تتعرض له... والسؤال الأقسى الذي كان يضغط علينا هو: هل أهلك يعرفون عنك شيئا، حيّا كنت أم ميتا ؟. والتعذيب النفسي كان يأخذ أشكالا مختلفة... على سبيل المثال، وهذا السؤال وجهوه لي منذ اليوم الأول لاعتقالي: ما رأيكم أن توقعوا على بيان تشتمون فيه ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية، ونفرج عنكم ؟. وقد عرضوا عليّ أيضا أن ألتحق بصفوف المنشقين عن حركة فتح، كي يفرجوا عني!!!. أنا شخصيا تعرضت لمساومات عديدة للخروج من السجن مقابل التوقيع على بيان ضد ياسر عرفات وضد منظمة التحرير أو الانضمام للمنشقين، وآخر مرة تعرضت فيها للمساومة من هذا النوع، كانت أيام حرب المخيمات، حين أتاني محمود عيسى (أبو عيسى)، وهو أحد قيادات المنشقين إلى السجن، وقابلته بوجود العقيد بسام، وهو نائب رئيس فرع فلسطين في المخابرات السورية، وساومني الاثنان على الخروج من السجن شريطة الانضمام إلى المنشقين... إضافة إلى العديد من السجناء، كانوا يضغطون عليهم من خلال أقاربهم وأهلهم، مثل عادل الصغير وكان مصابا بالربو وهو ابن عم زياد الصغير أحد المنشقين، وقد جاءه أحد أقاربه ليقول له: إن ابن عمك سيتدخل للإفراج عنك، فردّ عليه عادل: لن أخرج من السجن عن طريق المنشقين حتى لو بقيت عشر سنوات أخرى في السجن، وكانوا يهددوننا على الدوام بالاتصال بأهلنا وعائلاتنا للضغط علينا، أو يمنعون عنا الزيارة التي كانت تتم بالمناسبة.

وأريد أن أذكر قصة تعطي الدليل على فظاعة التعذيب النفسي والمعنوي الذي يمارسه النظام السوري بحق جميع السجناء والمعتقلين. عندما وصلت في اليوم الأول إلى السجن في دمشق، بادرني أحد المحققين بالقول: إن أسمك ليس توفيق الطيراوي، وإنما عصام ثابت، و بمجرد أن سمعت هذا الاسم، حتى تملكني الرعب وتبادر لذهني على الفور أسم أمين ثابت وهو الجاسوس الإسرائيلي الذي أعدم في سورية، وكان اسمه الحقيقي كوهين. وتبادر إلى ذهني أن عصام ثابت هذا، ربما أرتكب عملاً ما، وسيتم بالتالي أتهامي بهذا العمل، وربما قاموا بعد ذلك بتصفيتي جسديا، ثم عرفت أن هذه أسماء وهمية يطلقونها على بعض السجناء الذين ينوون إنكار وجودهم في السجن أصلا، حتى لا يطالب بهم أحد، وأمام هذا الوضع كان لا بد من الإصرار على موقفي مهما كانت التبعات، فرفضت أمامهم وبشدة هذا الاسم، وأصريت على أن اسمي هو توفيق الطيراوي، ورفضوا هم ذلك، وأصروا على إنكار أسمي الحقيقي بالتهديد حينا وبالضرب والشتائم أحيانا عديدة، ثم أخذوني إلى شخص آخر مهمته استلام أغراضي الشخصية التي سرقوها فيما بعد، وعندما سألني هذا الشخص عن أسمي، قلت له: توفيق الطيراوي، فقام على الفور بضربي وشتمي قائلا: يا كلب يا أبن الكلب، أسمك الحقيقي يجب أن تنساه وإياك أن تذكره، وإن أسمك الآن هو عصام ثابت.

وقد كان هذا الأسلوب من أقسى أساليب التعذيب النفسي الذي يتعرض له السجناء، لأنهم لا يعرفون لماذا يطلقون عليهم هذه الأسماء تحديدا، وما هو المصير الذي ينتظرهم من وراء تغيير أسمائهم !!. الشيء الآخر الذي كان يسبب لنا ضغطا نفسيا كبيرا، إنك تكتشف بأنك مسجون ضمن ظروف لا تفهم عنها شيئا، خاصة بعد أن اتهموني بأنني كنت وراء وضع متفجرات في سورية، وهذا غير صحيح، وبمجرد أن سمعت بهذا الاتهام الباطل حتى تبادر لذهني بأنهم يودون إعدامي، مما جعل ظروفي النفسية صعبة للغاية. ومن ضمن وسائل التعذيب الأخرى، نظام الرهائن، حيث يتم اعتقال زوجة أو شقيقة أو والدة أو والد أو شقيق أو ابن أحد المطلوبين الذين لم يتمكنوا من اعتقالهم، ويستمر اعتقال هؤلاء حتى يسلم المطلوب نفسه، وعلى سبيل المثال تمكن سجين من الهروب من السجن، فقاموا على الفور باعتقال زوجته وضربوها حتى أجهضت، ورفضوا الإفراج عنها إلى أن سلم السجين الهارب نفسه.. في الحقيقة إن المعاملة السيئة التي تعرضنا لها، وما يزال باقي السجناء يتعرضون لها لا يمكن وصفها، حيث كان الواحد منّا يشعر بأنه إسرائيلي مسجون عند النظام السوري.

النساء السجينات

يوجد في السجن العشرات من السجينات الفلسطينيات واللبنانيات والسوريات، ممن اعتقلن من لبنان وسوريا، والعديد منهن اعتقلن مع أطفالهن ممن تتراوح أعمارهم بين السنتين والأربعة سنوات... وكنّا نسمع دائما أصوات بعض النساء وهن يصرخن في وجوه السجانين، قائلات لهم: نريد حليبا وماء لأطفالنا. وقد تعرضت أولئك النسوة للتعذيب الجسدي والنفسي، و أيضا كان العديد من النساء اللواتي أعتقلن مع أزواجهن مثل زوجة الأخ عطية، وهو عضو لجنة منطقة في مخيم شاتيلا، وبقيت زوجته معتقلة أكثر من عام، وزوجة المحامي ياسين بقيت في السجن أكثر من عام، وكانت هناك امرأة مسنّة أسمها أم عصام، بقيت معتقلة مع ولديها الاثنين. وهناك ثلاثة فتيات فلسطينيات أفرجوا عنهن، وتم تسليمهن للمنشقين الذين وضعوهن في السجن لأكثر من ثلاثة شهور، بعد أن رفضن التوقيع على بيان التعاون والعمل معهم.

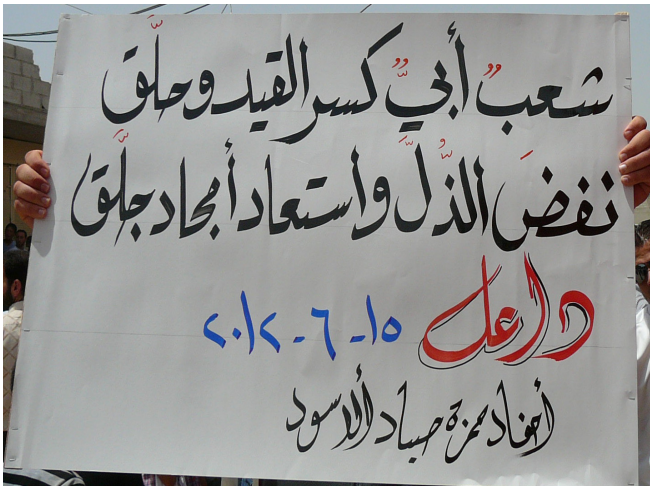

العدد الحقيقي للمعتقلين الفلسطينيين في سجون النظام السوري

في الحقيقة، إن العدد الحقيقي للمعتقلين الفلسطينيين في سجون النظام السوري يتعدى الستة آلاف، ولكنني لا أستطيع أن أعطي رقما دقيقا لعدد السجناء للأسباب التالية:

أولا: هناك مابين 1500 و2000 سجين مفقودين، لا يعرف عن مصيرهم شيئا.

ثانيا: توجد أماكن عديدة للاعتقال والسجن ممنوع عنها الزيارة، وبالتالي من الصعوبة معرفة عدد المعتقلين داخلها.

ثالثا: العدد الكبير للسجون وأماكن الاعتقال.

رابعا: صعوبة الاتصال مع غالبية السجون والمعتقلات.

لهذه الأسباب، لا أستطيع أن أعطي رقما دقيقا عن عدد المعتقلين الفلسطينيين في سجون النظام السوري، وعلى سبيل المثال، فإن ما يسمى سجن فرع فلسطين الذي كنت مسجونا فيه، وصل عدد السجناء الفلسطينيين فيه إلى أكثر من 1000 سجين، في الوقت الذي لا يتسع فيه لأكثر من 500 سجين.

في الختام، وأنا أضع شهادتي هذه بين أيديكم، أرجو من جميع الهيئات والمؤسسات والمنظمات العربية والدولية المهتمة والمدافعة عن حقوق الإنسان، أن تضاعف جهودها من أجل الإفراج عن جميع المعتقلين في سجون النظام السوري: فلسطينيين ولبنانيين وعربا آخرين).

ما رأي عديمي الضمير المدافعين عن نظام الوحش؟

ما رأي هذه الفئة الضالة من المرتزقة المصفقين والمطبلين لنظام القمع الوحشي؟ ألا يستحق هذا النظام وعائلته وأخواله وعصاباته التحويل لمحكمة الجنايات الدولية بسبب هذه الجرائم التي ترقى لحد الإبادة الجماعية المتعمدة التي لن تكون مجزرة الحولة والقبير آخر مجازره ومذابحه؟.

المصدر: إيلاف

مأمون الكزبري 1914 - 1998

■ ياسر مرزوق

ولد مأمون الكزبري في دمشق عام 1914، لآل الكزبري الأسرة الدمشقية العريقة بالعلم والدين والخلق، المنتسبة إلى العترة النبوية الشريفة، والتي وفد مؤسسها الشيخ "محمود الكزبري" إلى دمشق قادما من الحجاز مع مطالع العهد العثماني ليتولى القضاء فيها، واستمرت شهرة علماء هذه الأسرة في الفقه، وتدريس علوم الدين في الجامع الأموي ومن علمائها المشهورين الشيخ الإمام عبد الرحمن الكزبري الكبير، ثم الشيخ الإمام عبد الرحمن الصغير، والشيخ الإمام محمد الكزبري وغيرهم، ممن اشتهر بطول الباع في الفقه وعلم إسناد الحديث. والده السيد شفيق الكزبري.

تلقى مأمون الكزبري علومه الابتدائية والثانوية في مدرسة الأخوية المريمية " الفرير" في دمشق حيث أتقن الفرنسية وحصل على شهادة البكالوريا الأولى عام 1932، وعلى البكالوريا الثانية عام 1933، ثم انتقل إلى بيروت لدراسة الحقوق في معهد الحقوق الفرنسي وتخرج عام 1937. وتابع دراسته في فرنسا ونال شهادة الدكتوراه بالحقوق من جامعة ليون الفرنسية عام 1941، ليعود إلى بيروت لممارسة المحاماة لغاية العام 1943، حيث انتقل إلى دمشق، وافتتح مكتباً خاصاً به في العام نفسه. عام 1948عين أستاذاً في معهد الحقوق بدمشق ودرس مادة التشريع العقاري لغاية العام1960.

دخل البرلمان كنائب مستقل عام 1953، و تحالف مع الرجل القوي العسكري أديب الشيشكلي، الذي عينه متحدثاً باسم البرلمان في ذات العام. وقد عُين أيضاً رئيساً للمجلس الدستوري المكلف من الرئيس الشيشكلي بتعديل الدستور لإسباغ شرعية على الحكم. وبالفعل وفي منتصف عام 1953 تمت موافقة الشعب السوري على الاستفتاء الدستوري الذي قلب نظام الحكم في سورية من "النظام البرلماني" إلى "النظام الرئاسي" كما وافق على انتخاب الرئيس أديب الشيشكلي رئيساً للجمهورية السورية حسب أحكام الدستور الجديد، والذي نص أيضاً على تسلم رئيس مجلس النواب الدكتور الكزبري في حينه منصب نائب رئيس الجمهورية، وفي العام 1954 رأس حركة "التحرير العربي" والتي أسسها الشيشكلي بديلاً عن الأحزاب الفاعلة على الساحة السورية.

عقب انتهاء عهد الشيشكلي، جرت انتخابات نيابية جديدة، فرشح الدكتور الكزبري نفسه، وفاز مرة ثانية بالنيابة عن دمشق، وأحرز أكثرية الأصوات، وكان ترتيبه الثاني بين المرشحين. ولم يتفوق عليه بالأصوات سوى الأستاذ "سعيد الغزي".

عام 1954 أيضاً شارك الكزبري في الوفد السوري الى مؤتمر دول عدم الانحياز في " باندونغ " في اندونيسيا والذي كان برئاسة خالد بيك العظم، حيث تولى الكزبري اللجنة الثقافية. في 13 شباط عام 1955 تسلم الكزبري وزارة العدل في حكومة صبري العسلي، ثم وزارة المعارف في حكومة الغزي في 14 أيلول من العام نفسه، ووزارة المعارف أيضاً في حكومة الغزي الثالثة في 15 أيلول من العام نفسه أي بعد يوم واحد من تشكيل الحكومة آنفة الذكر. كما تسلم وزارتي العدل والشؤون الاجتماعية والعمل بالوكالة في حكومة صبري العسلي الرابعة عام 1956 والتي استمرت لغاية 6 آذار عام 1958.

في العام 1958 كان في عداد الوزراء الذين ذهبوا إلى القاهرة لتوقيع اتفاقية الوحدة بين سورية ومصر، لدى الرئيس جمال عبد الناصر، وهو من قال بعد الانفصال:" كنت أتمنى أن أموت ولا أوقع ميثاق وحدة كنا نسأل الله عز وجل أن تقوم على أسس سليمة ولكنها سقطت عند أول امتحان". ولدى الإعلان عن قيام الجمهورية العربية المتحدة عين الدكتور الكزبري في لجنة توحيد القوانين بين القطرين في القاهرة، ومكث في مصر عدة شهور، عاد بعدها إلى دمشق لممارسة التدريس في جامعة دمشق، والمحاماة في مكتبه، وفي عام 1960 انتخب نقيباً للمحامين لعامي 1960و 1961وعندما تمت انتخابات الاتحاد القومي، وهو التنظيم الشعبي السياسي الوحيد في الجمهورية العربية المتحدة انتخب أميناً عاماً للاتحاد في الإقليم الشمالي.

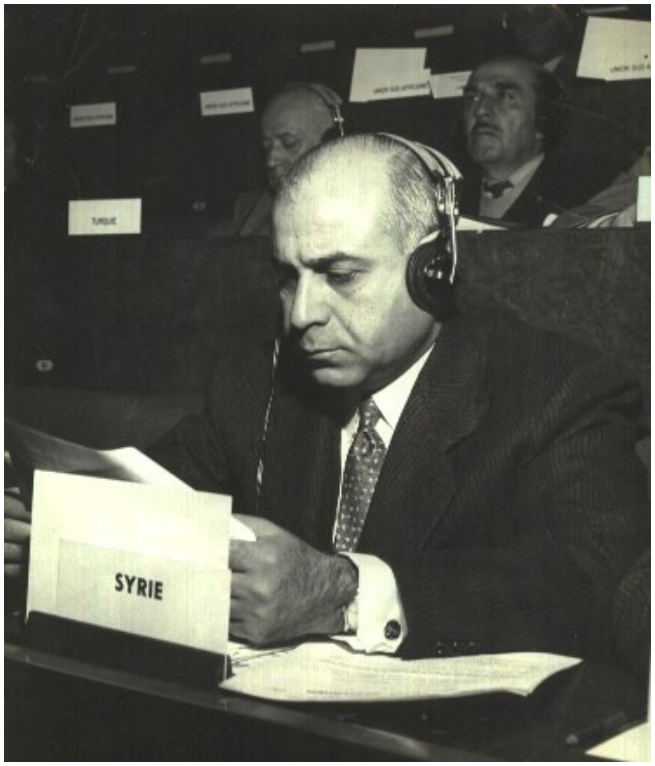

بعد استقالة اكرم الحوراني كنائب لرئيس الجمهورية في مصر أيام الوحدة، واستقالة صبري العسلي، رشح هو والسيد نور الدين كحالة نائبين لرئيس الجمهورية جمال عبد الناصر، لكنه اعتذر لعدم تمكنه من الانتقال إلى القاهرة، حيث كانت الحكومة المركزية الى جوار جمال عبد الناصر، متذرعاً بمسؤولياته الخاصة وظروفه الحياتية والعملية والعائلية.

لدى انتهاء الوحدة بين سورية ومصر يوم الثامن والعشرين من أيلول 1961، وعقب حركة الانفصال التي قادها العقيد حيدر الكزبري، استدعي الدكتور مأمون الكزبري، وطلب إليه معالجة الوضع من الناحية الدستورية، وتشكيل حكومة مؤقتة، ريثما تستقر الأمور، وتعاد الوحدة على أسس متينة ومدروسة. شكل الدكتور الكزبري الوزارة، واحتفظ لنفسه فيها إلى جانب الرئاسة، بوزارتي الخارجية والدفاع. بعد أقل من شهرين دعا الدكتور الكزبري إلى انتخابات نيابية فرشح نفسه، وفاز بالنيابة عن دمشق من جديد، ثم انتخب رئيساً للمجلس النيابي. وانتخب يومئذ الدكتور ناظم القدسي رئيساً للجمهورية.

وفي الثامن من آذار 1963 حدث انقلاب حزب البعث، وشمله العزل السياسي، فغادر الدكتور الكزبري على أثره دمشق إلى فرنسا. ثم أقام في المغرب منذ أيلول 1964، وعين أستاذاً في جامعة الرباط، ومستشاراً خاصّاً للملك الحسن الثاني طيلة ابتعاده عن سورية، وكان أول عمل قام به في المغرب، هو تعريب التدريس الجامعي. وكان التدريس حتى ذلك الحين يجري باللغة الفرنسية، استمرت إقامة الدكتور الكزبري في المغرب، نحو خمسة وعشرين عاماً، كرسها للتدريس والتأليف بالعربية، حيث ترك للمكتبة القانونية العربية إرثاً لا يستهان به، ومن وآثاره " التشريع العقاري، ملحق التشريع العقاري، أبحاث إضافية في الحقوق العينية في التشريع السوري، مدخل لعلم الحقوق - بالفرنسية، الحقوق العينية ".

غادر المغرب عام 1990 على أثر تقدمه في السن بعد أن خرّج أجيالاً من الحقوقيين ورجالات الدولة، حتى أن إحدى الوزارات في المغرب ضمت سبعة وزراء من طلاب الدكتور الكزبري، ليستقر في باريس لغاية 16 أيلول 1996 ثم ينتقل إلى بيروت، بعد استقرار الأوضاع في لبنان.

انتقل الدكتور مأمون الكزبري إلى جوار ربه في اليوم الأول من عام 1998، ونقل جثمانه الطاهر إلى دمشق. وشيع إلى مثواه الأخير، مبكياً على أخلاقه الحميدة، ونضاله الطويل في ميادين العلم والسياسة. ووري الثرى في مقبرة الباب الصغير، غير بعيد عن قبر الرئيس شكري القوتلي.

خلال احتفال بالبرلمان السوري سنة 1953 الرئيس الشيشكلي يسلم على مأمون الكزبري رئيس البرلمان

حكام سوريا 1920 – 1958

■ بلال سلامة

نستعرض في هذه المقالة حكام سوريا منذ نهاية الحكم العثماني وحتى الوحدة بين سوريا ومصر عام 1958:

الملك فيصل الأول

في 8 آذار 1920 أعلن المؤتمر السوري العام استقلال سوريا وأصبح اسمها المملكة السورية العربية وجرى تتويج الأمير فيصل بن الحسين ملكاً عليها، ولكن بعد أحداث معركة ميسلون في تموز 1920 ودخول الجيوش الفرنسية إلى دمشق، غادر الملك فيصل سوريا. وبمغادرته انتهت الملكية في سوريا وبدأ عهد الانتداب الفرنسي عليها.

صبحي بك بركات الخالدي

هو أول رئيس للاتحاد السوري ثم أول رئيس للدولة السورية ورابع حاكم لسوريا بعد العثمانيين. شغل منصب رئيس الاتحاد السوري الذي أعلن عن ميلاده في 28 حزيران 1922. كان من مهام رئيس الاتحاد تشكيل ورئاسة الحكومة، ومن أبرز إنجازات بركات خلال رئاسته الاتحاد، استحداث الدرك السوري وإصدار العملة الورقية السورية وذلك في آب 1922. عند إعلان قيام "الدولة السورية" في 24 كانون الأول 1924. إن اندلاع الثورة السورية الكبرى في تموز 1925 دفع إلى إقالة بركات وحكومته وإخضاع البلاد للحكم الفرنسي المباشر تحت قيادة "فرانسوا بيير أليب" والذي كان حاكماً عسكرياً فرنسياً مؤقتاً وحكم سوريا من 9 شباط إلى 28 نيسان 1926.

أحمد نامي بك

هو ثاني رئيس للدولة السورية بين 2 أيار 1926 و15 شباط 1928. وقد ألّف خلال هذه المدة ثلاث حكومات، وفي عهده عاد لواء اسكندرون ليصبح جزءاً من الدولة السورية قبل أن تفصله فرنسا مرة أخرى عام 1932.

تاج الدين الحسني

ثالث رئيس للدولة السورية بين 15 شباط 1928 و 9 تشرين الثاني 1931. ورئيس الجمهورية بالتعيين بين 16 أيلول 1941 و 17 كانون الثاني 1943. وضع في عهده أول دستور سوري ولكن لم ينشر حتى 1931. شهدت بداية عهده إعلان عفو عام عن جميع المتورطين بأحداث عنف ضد الفرنسيين خلال الثورة السورية الكبرى، كذلك أصدر قراراً بإلغاء الرقابة على الصحافة. توفي خلال رئاسته الثانية في 17 كانون الثاني 1943. وبذلك يكون أول رئيس دولة سوري، يموت خلال ممارسته لسلطته.

محمد علي العابد

أول رئيس للجمهورية السورية بين 11 حزيران 1932، وحتى 21 كانون الأول 1936. كما أنه أول حاكم لسوريا يتم انتخابه ولا يتم تعيينه. وخلال عهده حدث الإضراب الستيني الشامل في مدن سوريا والتقى وفد الكتلة الوطنية مع الحكومة الفرنسية ونشرت نصوص مسودة الاتفاق بينهما في 22 تشرين الأول 1936 على أن توقع قبل نهاية العام. دعا العابد لانتخابات نيابية هي الثانية في تاريخ سوريا فازت بها الكتلة بالأغلبية الساحقة، وكان من النتائج المباشرة للاتفاق بين الكتلة وفرنسا، عودة ارتباط دولة جبل العلويين ودولة الدروز بالوطن الأم في 5 كانون الأول 1936.

هاشم الأتاسي

هو ثاني رئيس للجمهورية السورية في ثلاث فترات بين 21 كانون الأول 1936و 7 تموز 1939 وبين كانون الأول 1949 حتى كانون الأول 1951، ثم من 1 آذار 1954 حتى 6 أيلول 1955. كلف الأتاسي رئاسة لجنة صياغة دستور المملكة، الذي أقر في 1920. في تشرين الأول 1927 اجتمع الأتاسي مع عدد من الناشطين المعارضين للانتداب الفرنسي وأعلنوا ميلاد "الكتلة الوطنية" وانتخب رئيساً للكتلة وعضواً دائماً في مكتبها. وشكل حكومات منفردة عدة مرّات خلال مرحلتي الانتداب والاستقلال. ترأس الأتاسي جمعية تأسيسية لوضع الدستور الثاني للبلاد عام 1928، وقد نصّ على كون النظام جمهورياً برلمانياً. ترأس الأتاسي الوفد الوطني الذي سافر إلى فرنسا عام 1936 للتفاوض حول معاهدة جديدة تضمن حقوق السوريين. توفي في 6 كانون الأول 1960 في حمص، وكانت جنازته الأكبر في تاريخ المدينة.

بهيج الخطيب

ترأس سوريا بين 10 حزيران 1939 و4 نيسان 1941. بعد استقالة هاشم الأتاسي أصدر المفوض الفرنسي قراراً بتعطيل الدستور السوري والحياة البرلمانية، وتعيين بهيج الخطيب رئيساً للحكومة "حكومة المديرين" التي تمتعت بصلاحيات تشريعية وتنفيذية مطلقة في ظل عدم وجود أي قيد دستوري أو قانوني. ومن أبرز أحداث عهده اغتيال عبد الرحمن الشهبندر في 7 تموز 1940 وكذلك خلال ولايته أعلنت تركيا ضم لواء اسكندرون رسمياً لحدودها.

خالد العظم

عند إقالة بهيج الخطيب، عهد الفرنسيون إلى العظم رئاسة الدولة السورية بالوكالة، جامعاً بين منصبي رئاسة الدولة ورئيس الوزراء. وهو الرئيس الحادي عشر من 4 نيسان إلى 16 أيلول 1941. لقد ترأس العظم الحكومة في سوريا ست مرات، وعيّن وزيراً لأكثر من عشرين مرة.

جميل الألشي

عند وفاة رئيس الجمهورية تاج الدين الحسني في 17 يناير 1943، وبموجب الدستور غدا الألشي رئيساً مؤقتاً للجمهورية. ولكن بسبب خلافه مع فرنسا إثر رفضه دفع مبلغ 15 مليون ليرة سورية لمؤسسة تمويل الجيوش الفرنسية في المشرق، أعلن المفوض الفرنسي إنهاء حكم الألشي في 25 آذار 1943.

عطا الأيوبي

أصدر المفوض الفرنسي مرسوماً في 25 آذار 1943 بتكليف عطا الأيوبي رئاسة الدولة والحكومة، فألف الأيوبي وزارته في اليوم نفسه، مهدت هذه الحكومة لإجراء الانتخابات النيابية، وفي 1943 حزيران أجريت الانتخابات وأدت إلى فوز الكتلة الوطنية، وفي 17 آب انتخب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية، استقالت حكومة الأيوبي وفق الدستور.

شكري القوتلي

انتخب القوتلي في 17 آب 1943 رئيساً للجمهورية السورية، ، واستقال منها بسبب ضغط حسني الزعيم عليه في 30 آذار 1949، وانتخب رئيساً للجمهورية السورية ثانية في 6 أيلول 1955 وحتى تنازله عنها في 22 شباط 1958 عندما اتفق مع رئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر على توحيد القطرين سوريا ومصر تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة فتنازل له القوتلي عن الرئاسة لما رأى فيه مصلحة سوريا ولقب في هذا العهد بالـ "المواطن العربي الأول".

حسني الزعيم

اعتبر حسني الزعيم صاحب أول انقلاب عسكري في تاريخ سورية المعاصر في 30 آذار 1949 عندما قام بانقلابه واعتقل رئيس الجمهورية شكري القوتلي، ورئيس وزرائه وبعض رجاله، وحل البرلمان، ولقب بالمشير. انتخب رئيساً للجمهورية في 26 حزيران 1949. لقد عقد الزعيم مع الدول الكبرى اتفاقيات تخولها إقامة نفوذ ومصالح لها في سورية كثمن لها على دعمها إياه. وضع حد لحكم الزعيم حين أطاح به خصومه العسكريون في 13 آب 1949. اجتمع المجلس الحربي الأعلى برئاسة الزعيم سامي الحناوي وأصدر حكمه بإعدام حسني الزعيم، ونفذ الحكم رمياً بالرصاص بعد لحظات من صدوره في 14 آب 1949.

فوزي السلو

درس في الكلية الحربية في حمص والتحق بالقوات الخاصة الفرنسية التي أنشئت عند الإنتداب الفرنسي، كان سلو سياسياً كبيراً وقائداً عسكرياً سورياً. استلم الحكم في سوريا من 3 كانون الأول 1951 حتى 11 تموز 1953.

أديب الشيشكلي

قام الشيشكلي بانقلابه في 31 تشرين الثاني 1951 واعتقل رئيس الوزراء معروف الدواليبي، ورئيس مجلس النواب وبعض النواب، فاستقال رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي وعين الشيشكلي الزعيم فوزي سلو رئيساً شكلياً. انتخب الشيشكلي رئيساً للجمهورية 11 تموز 1953، أما قيادة الأحزاب السياسية المعارضة فألّفت جبهة شعبية تصدت لسياسة الشيشكلي عبر المظاهرات، وأعلن العصيان في جبل الدروز، فقاومه الشيشكلي بالدبابات والطائرات. عقد السياسيون مؤتمراً في حمص قرر "الدعوة إلى الديمقراطية والحريات العامة، وشجب الحكم الفردي والنظام البوليسي" ووجهوا إنذار إلى الشيشكلي لإعادة الأوضاع الدستورية والإفراج عن المعتقلين. ولكن الشيشكلي لم يستجب، فعمت المظاهرات المدن وهي تنادي بسقوط الديكتاتور وكانت التمهيد الشعبي لإسقاط الشيشكلي الذي شعر بخروج الأمور عن سيطرته، فهرب إلى بيروت في 25 شباط 1954 ومنها للسعودية.

الوقف الإسلامي في سوريا في القانون السوري

■ ياسر مرزوق

ابتكرت الحضارة الإسلامية نظام الوقف الذري والخيري الذي عادت آثاره الرائعة على المجتمع والأفراد في مجالات الحياة كلها.. فنعم المسلمون به دهراً طويلاً.. وقلده الغربيون فانتفعوا به، ولعل ما تتناقله كتب التاريخ عن ما بات يدعى في مدينة دمشق بمحكمة الكلاب ليس من باب التندر، فقد شهدت دمشق وقفاً خيرياً لمعالجة الكلاب الضالة وإيوائها وأطلقت العامة عليه هذه التسمية نسبة للضجيج المتصاعد من المكان، كما شهدت دمشق وقفاً مشابهاً لإيواء القطط ووقفاً للأواني المكسورة، فإذا كسرت خادمة إناءً في بيت مخدومها أحضرت الإناء المكسور واستبدلته بثمنه لتجنيبها العقاب، إضافة إلى الأوقاف التي خصصت لتكفل طلاب العلم، حتى قيل " لا حجة لطالبٍ عن طلب العلم في دمشق ".

والحكمة من الوقف فيما ذكر الإمام الدهلوي في كتابه "حجة اللّه البالغة ": أن الوقف شرع لمصالح لا توجد في سائر الصدقات والتبرعات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل اللّه مالا كثيراً ثم يفنى بالإنفاق فيحتاج المصرف الذي خصص بالنفقة تارة أخرى وتجيء أقوام آخرون لم ينلهم شيء من المال فلا أنفع ولا أحسن من الوقف الذي يبقى أصله ويصرف ريعه ومنافعه على المستحقين".

ولنا أن نفصل بأنواع العقارات الوقفية في سوريا وهي" والكلام هنا منقول عن محاضرة للشيخ عبد القادر الخطيب ":

1 ـ المساجد: وقد اهتم المسلمون ببناء المساجد وتنافسوا فيها، ووقفوا على المساجد الأوقاف العظيمة لنفقاتها وكفاية القائمين بالشعائر فيها من خطيب وإمام ومؤذن وخادم وغيرهم، ومن جملة النفقات الإضاءة بالزيت ليلاً، وقد وقفت على المسجد الأموي وحده قرى عديدة مزروعة بالزيتون لإضاءته ليلاً.

2 ـ المدارس والمعاهد: والحديث عنها طويل لا ينتهي، وحسبنا أن نعلم أن التعليم فيها كان مجانياً تماماً مع إيواء الغرباء والوافدين وإطعامهم وإعطائهم رواتب معلومة من أوقاف المدرسة، وكان لكل مدرسة شيخ ومدرسون لهم شروط محددة وأرزاق معلومة بحسب كل وقف، وكان من أوقاف الأزهر مثلاً وقف خاص لبغلة الشيخ ونفقاتها، وللمعاهد والمنشآت أنواع كثيرة أهمها:

ـ دور القرآن، وهي مخصصة لإقراء القرآن الكريم وتعليمه، ومنها في دمشق دار القرآن الدلامية بالصالحية.

ـ دور الحديث، وهي مخصصة لرواية الحديث وتعليمه ودرايته، ومن أهمها في دمشق: دار الحديث النورية، أول دار أنشأها السلطان نور الدين زنكي لنشر السنة وأقام فيها حافظ عصره ومؤرخه ابن عساكر، ومنها دار الحديث الأشرفية التي وقفها الملك الأشرف الأيوبي، وشرط أن يكون شيخها أعلم أهل عصره بالحديث رواية ودراية، فكان ممن تولى مشيختها ابن الصلاح والنووي والمزي وغيرهم من الأعلام.

ـ دور مشتركة للقرآن والحديث، ومنها في دمشق دار القرآن والحديث التنكزية. " والتي تقع في شارع النصر "

ـ المدارس، وهي خاصة للفقهاء، ومنها مدارس خاصة لمذهب معين، كالنورية الحنفية والعادلية الشافعية، ويذكر النعيمي أنه كان في دمشق وحدها ثلاث وستون مدرسة للشافعية وثنتان وخمسون للحنفية.

3ـ الخوانق والرُّبُط، ومفرد الأولى خانقاه، والثانية رباط، وهي منشآت موقوفة على العبّاد والزهّاد، وقد تجري فيها بعض الدروس، ومن أهمها الخانقاه السميساطية بدمشق الملاصقة للباب الشمالي للمسجد الأموي، وكان من جملة من نزل بها الإمام الغزالي.

وقد كثرت المدارس وأوقافها في المشرق كثرة هائلة حتى قال ابن جبير في رحلته: "وتكثر الأوقاف على طلاب العلم في البلاد المشرقية وخاصة دمشق، فمن شاء الفلاح من أهل مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد يجد الأمور المعينة على طلب العلم كثيرة، وأولها فراغ البال من أمر المعيشة".

ـ الفنادق والخانات، وهي موقوفة لإيواء الغرباء والنازلين، ومنها لإيواء الحجاج بمكة.

ـ البيمارستانات، وهي المشافي، وأشهرها البيمارستان النوري، الذي كان فيه طبيب عصره ابن النفيس.

ـ التكايا، وفيها يوزع الطعام مجاناً على الفقراء كتكية السلطان سليم وتكية السلطان سليمان بدمشق.

ـ ومنها السّقايات والحياض والآبار.

ـ ومنها ما كان موقوفاً لإصلاح الطرقات والجسور والقناطر.

ـ ومنها المقابر والتّرب، وبعضها كان يقوم بمهمة علمية تتبع له، ويتبع ذلك الوقف لشراء أكفان الموتى، وسد ديون من مات وعليه دين.

أما المؤسسات الخيرية لإقامة التكافل الاجتماعي بين الناس، فمنها مؤسسات للقطاء واليتامى وللمقعدين والعميان والعجزة وللمساجين وتغذيتهم، ولتزويج الشباب وتقديم المهور، ومنها لإمداد الأمهات بالحليب والسكر.

ومن أطرفها وقف الآنية الذي تحدث عنه ابن بطوطة في رحلته لما قدم دمشق فقال: "مررت يوماً ببعض أزقة دمشق فرأيت به مملوكاً صغيراً قد سقطت من يده صحفة من الفخار يسمونها الصحن، فتكسّرت وتجمع عليه الناس فقال له بعضهم: اجمع شقفها واحملها معك لصاحب أوقاف الأواني، فجمعها وذهب الرجل معه فأراه إياها فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن".

ومن أطرفها أيضاً: الأوقاف التي أقيمت لإيواء وعلاج الحيوانات المريضة كما هو شأن المرج الأخضر في دمشق.

ـ والأوقاف التي خصصت لنزهة الفقراء والمساكين، كالوقف الذي أقامه السلطان نور الدين الشهيد قرب ربوة دمشق.

هذا وتعتبر غالبية العقارات المستملكة داخل دمشق الصغرى مثلاً عقارات وقفية تم استملاكها أو ربطها بوزارة الأوقاف مما حرم المجتمع من الاستفادة منها، فعدم استقلال الوقف ومؤسّساته، وارتباطها أو بالأحرى ربطها قسراً لدى كثير من الحكومات والأنظمة، بمؤسّسات الدّولة ووزاراتها ومديريّاتها الحكومية، بالشكل الذي أدّى مع مرور الزمن وانقراض الواقفين ومن بعدهم طبقاتٌ عديدة من المستحقين إلى صيرورة الاستحقاق في أغلب الأحيان إلى الدولة نفسها ممثلة بهيئةٍ تابعةٍ للحكومة أو وزارة من وزاراتها.

بتاريخ 1949/6/11 صدر المرسوم التشريعي رقم 128 المعدل بالمرسوم التشريعي رقم 170 تاريخ 1952/11/27، الذي قضى بإلغاء مناصب المتولين على الأوقاف الخيرية، وتكليف مديرية الأوقاف بإدارتها والقيام بتصفية الأوقاف الذرية، وبعدئذ تم وضع النظام الأساسي للأوقاف بالمرسومين التشريعيين رقم 185 تاريخ 1961/12/10 ورقم 204 تاريخ 1961/12/11 اللذين أناطا الولاية على الأوقاف الإسلامية بوزارة الأوقاف ومديرياتها في المحافظات وحددا صلاحياتها وأحدثا المجلس الأعلى للأوقاف. "وقد تولى مجلس الإفتاء الأعلى القيام بمهامه". ويتم تشكيل مجالس الأوقاف المحلية في المدن "من المفتي- مدير الأوقاف- القاضي الشرعي- عالم- محام- مهندس- ملاك- تاجر" وكذلك لجان الأوقاف في القرى.

هذا وتقسم العقارات الوقفية المتبقية حالياً إلى نوعين:

-العقارات ذات الإجارة الواحدة الخاضعة للقانون رقم 1960/104 الناظم لاستبدال هذه العقارات ويطبق عليها قانون الإيجارات.

-العقارات ذات الإجارة الطويلة، وتعود ملكيتها للوقف، مع بقاء حق التصرف بها للغير كحالات الحكر والإجارتين وتخضع للقانون رقم 1958/163 المعدل بالقانون رقم 1960/189، أما الأوقاف غير الإسلامية فقد بقيت تدار من قبل مجالس الطوائف واعتبرت أملاكاً وقفية خيرية خاصة بطوائفها وسجلت في السجلات العقارية بهذه الصفة، وتخضع عمليات استبدالها لموافقة رئاسة مجلس الوزراء.

لكن لابد من الإشارة إلى أن ما حصل للأوقاف في سوريا مخالفة للأصل الشرعي لوجود الأوقاف " والكلام هنا عن مقالةٍ للمحامي محمد صخر بعث " والذي يستند أساساً إلى مجموعة الشروط المعتبرة للواقفين الذي أنشأوا هذه الأوقاف، كما ويعتمد على صحّة الشروط والأركان والعناصر والمقوّمات الأخرى التي تُعطي للأوقاف طبيعتها المطلوبة، وتمنحها شرعيتها، وتضمن لمؤسّساتها الكفاءة وحسن الأداء ويُلاحَظ أنّ عدداً كبيراً لا يستهان به من المؤسّسات والعقارات الوقفية على تنوّعها واختلاف أغراضها في العالمين العربي والإسلامي، تعود للحقبة العثمانية التي امتدّت طوال أربعة قرونٍ ومضى على انحسارها ما يقارب قرناً من الزمان، ما يجعل من الصعوبة بمكانٍ مراجعة الوقائع الحقيقية لإنشائها، دون الحصول على صكوك الحجج الوقفية التي أنشأتها، وإن كان ذلك متيسّراً في العديد من الأوقاف المتميّزة أو المشهورة، إلا أنّ أغلب المؤسّسات الوقفية الأخرى وخاصّةً المتوسطة والصغيرة منها، قياساً لحجم ما تؤدّيه من خدماتٍ أو تدرّه من ريوع، فإنّه من المتعذّر حقاً معرفة الهدف الحقيقي من إنشائها استناداً لنصّ شروط الواقفيّن الذين لم يعودوا معروفين أصلاً في حالاتٍ كثيرةٍ جداً.

خاصّةً وأنّ الكثير من التشريعات الوقفية الحديثة في عالمنا الإسلامي ذهبت بعد إحصاء هذه الشريحة من المؤسّسات الوقفية إلى تمليكها للدولة، ممثلةً بوزارةٍ أو مديريةٍ مختصّةٍ تحت اسم وزارة أو مديرية الأوقاف، دون أن تُعرّف هويّة المالك الحقيقي ولا شروطه التي أنشأ وقفه بناءً عليها، ومع أن ذلك لم يكن متعذراً أصلاً، إلا أنّ الإهمال المقصود أو غير المقصود تارةً واتّجاه النيّة إلى إلحاق هذه الأوقاف بملكيّة الدولة تارةً أخرى، استيلاءً هدفه تحقيق مآربٍ الحكومات في المؤسّسات الوقفية بعيداً عمّا يجب أن يكون، وهو اعتبار شروط الواقفين واحترامها وإعمال العمل بها، لأنّ غير ذلك يعني بدون أدنى شكٍّ مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية وقواعدها المقرّرة في إنشاء الأوقاف، من خلال عدم احترام المكانة البالغة الأهمّية لشروط الواقفين وضوابطهم.

وكان الأولى بالمشرع إعادة النظر في واقع الوقف، وفق شروط الواقفين قدر الإمكان للحيلولة دون ضياع الوقفيات وتحويلها لعقارات مؤجرة بأبخس الأثمان، مما أضاع الفائدة المرجوة منها، وما أكثر العقارات الوقفية العظيمة الباذخة التي خولفت فيها شروط الواقفين، وتحولت فيها المعاهد العلمية العظيمة إلى أسواق يرتادها من هب ودب. كما حصل في المدرسة الأمينية بسوق الحرير التي هي أقدم مدرسة باقية بدمشق إلى الآن.

حازم صاغية: البعث السوري - تاريخ موجز

■ ياسر مرزوق

مع يقيننا بأن القراءة حاجةٌ يومية لا تقل أهميةً عن الاحتياجات الفيزيولوجية للإنسان، وأن اختيار المادة المقروءة هو خيارٌ شخصي تحكمه الحالة النفسية أحياناً والذائقة أو الحاجة المعرفية أحياناً أخرى إلا أن هناك طائفةً من الكتب، لابد من قراءتها في فترةٍ معينة لارتباطها الشديد بما نعيشه، ولعل اختيار كاتبنا اليوم " حازم صاغية " لتوقيت نشر كتابه "البعث السوري – تاريخ موجز " نابعٌ مما ذكرنا آنفاً، إذ تنبع أهمية الكتاب خصوصاً من تزامنه مع "الربيع العربي" و"الثورة السورية" على نظام "حزب البعث" في نسخته النهائية المتمثلة بحكم الرئيس بشار الأسد.

يحتوي الكتاب بين دفتيه قصةً "موجزة" لهذا الحزب الذي طبع الحياة السياسية العربية مدة نصف قرن؛ من خلال سيرة شخصياته الأساسية وتفاعلهم مع أحداث سورية والمنطقة منذ نشوء الفكرة البعثية مع "الأساتذة" الأولين، مروراً بحكم العسكر الحزبي، وخصوصاً فترة الأسد الأب التي امتدت ثلاثة عقود، وانتهاءً بمرحلة الأسد الابن التي تكرر المشاهد الدموية لكل العهود البعثية.

لعل الملفت للنظر صغر حجم الكتاب، وهذه نقطةٌ تحسب لصالح كاتبنا، فالكتاب على صغر حجمه أتى كبانوراما بطيئة مختصرة ووافية في الوقت نفسه، ليس عن سوريا وحسب، بل عن المحيط العربي بأكمله مع الاحتفاظ بهامش عريض لتناول ما هو غير بعثي في الحكم البعثي. وغني عن القول أن الموضوع هذا وإن كان سورياً أساساً، فهو لبناني وفلسطيني وعراقي في الوقت نفسه، حتى لو اتخذت أوجهه تلك أشكالاً متفاوتة.

وهو من ناحية أخرى يتصل بطريقة في التفكير والسلوك السياسيين سيطرت لسنوات على أجزاء واسعة من العالم العربي، وبخاصة منطقة المشرق. إذ يتحدث صاغية عن تجربة البعث في سوريا كأنجح تجربة مشرقية وعربية في استخدام الجيش للقبض على السلطة السياسية وتعطيل المجتمعات وشلها لعشرات السنين، هذه التجربة التي نتج عنها الحصاد البائس الذي كشفه اندلاع الانتفاضة التي انطلقت من درعا، والتي يتوقف عندها سرد الكتاب، فيقول ذلك كله ببلاغة لا تجارى ولا يسع أيَّ كتاب آخر أن ينافسه عليها، لعل البلاغة والدقة والكثافة في المعلومة والعبارة، تضع كتابنا اليوم في مصاف الكتب التي تؤرخ لمنطقة الشرق الأوسط بأسرها في العصر الحديث.

وكاتبنا "حازم صاغية " من نجوم الصحافة اللبنانية " واحة الحرية في محيطها العربي " ولعل معايشته لظروف الحرب اللبنانية واطلاعه على المشهد السوري عن كثب أعطى كتابه نكهة لابد لكل قارئ من تلمسها، عمل صاغية محرراً في صحيفة "السفير" اللبنانية من "1974-1977" ورئيساً لتحرير صفحات الرأي بجريدة "السفير" اللبنانية في الفترة من "1977-1988"، كما عمل مساعداً لرئيس تحرير مجلة "أبواب" وهي" دورية ثقافية تصدر باللغة العربية في لندن" ليستقر ككاتب صحفي ومحرر صفحات الرأي بجريدة "الحياة" اللندنية.

يتناول في المقام الأول تطور حزب البعث السوري، واندماجه في باكورة أيامه مع الحزب العربي الاشتراكي ليتأسس ما سمّي "حزب البعث العربي الاشتراكي"، الذي تدرج إلى السلطة ثم قبض عليها مقصياً لخصوم كثر. محللاً للنشأة والخلفيات والتطور الذي مر به الحزب مؤكداً بأن البعث ليس واحداً، بل هو مراحل متناقضة متنافرة فيما بينها، وصولاً لمرحلة الخواء الفكري والإيديولوجي الذي سيطر على البعث السوري والذي أضحت أفكاره مجرد إنشاء لتأمين استمرارية قائده إلى الحكم، كحال الرئيس الراحل حافظ الأسد الذي ورث ابنه بشار الأسد.

الكتاب من الثراء بمكان يجعلني في حيرة اتجاه ما يجب الإضاءة عليه وما يجب تركه للقارئ لذا سأكتفي بسرد بعض العناوين ومقتطفات من الكتاب، كدعوة للقارئ ليشاركنا متعة القراءة.

عفلق والبيطار والأرسوزي:

الثلاثة، عفلق والبيطار والأرسوزي، لم يُعرفوا بودّ متبادل، وقد نُقلت عن ثالثهم عبارة شهيرة في أولهم تقول إنّ "الأدب خسره فيما ابتُليت به السياسة"، لكنّ الأمر كان أكثر من عبارة شاردة، إذ الأرسوزي رأى في منافسه الدمشقيّ تجسيداً للفشل وانحطاط الهمّة والكسل الفكريّ، وبينهما قامت فوارق أعمق في عدادها أنّ المعلّم الأنطاكيّ اعتبر الجاهليّة، لا الإسلام، عصر العرب الذهبيّ، كما عوّل، متأثراً بالأدبيّات العرقيّة الأوروبيّة، على "عنصر" عربيّ متفوّق، وهو ما لا أثر لمثله في كتابات الأستاذ المنافس.

ويمضي صاغية تحت عناوين " الأنبياء الصغار، الإسلام معجزة العروبة، عموميّات ماركسيّة، حسني الزعيم، انقلابات، جلال السيد، عفلق والحوراني: انقلابات المغامرين، اندماج الحزبين:

لئن سعى عفلق والبيطار من وراء اندماج الحزبين إلى تأمين قاعدة شعبيّة أوسع، أراد الحوراني من ورائه الانفتاح على بيئة من المثقّفين الشبّان الذين يقيمون في دمشق من غير أن يكونوا بالضرورة دمشقيّين، لكنّ كلفة الاندماج هذا لم تكن، في أيّ حال، بسيطة. ذاك أنّ نزعة الحوراني الحاسمة في جمهوريّتها واشتراكيّته الشعبويّة وعداءه للهاشميّين في العراق والأردن، بدأت تدفع الحزب في اتّجاه مصر الناصريّة وشعبويّة نجمها الصاعد، وفي السياق هذا خرج جلال السيّد ومَن يمثّل من حزب البعث، ناعياً عليه فلاحيّته وإيثاره العامّة على أبناء الأرومات والدماء الأصفى، ومن ثمّ تفضيله ضابطاً مصريّاً أبوه ساعي بريد على أحفاد رسول الله وذريّته من الهاشميّين.

الانقلاب على الشيشكلي، اغتيال المالكي، تصفيات، الوحدة المصرية السورية:

"هذه الوحدة التي أُعلنت رسمياً في 22 شباط 1958، لم تعمّر طويلاً. ففي 28 أيلول 1961 انقضّ عليها كبار الضبّاط الدمشقيين، فتمّ الانفصال الذي بدوره لم يطل، إذ قامت مجموعة من الضباط وبمشاركة ضباط بعثيين في انقلاب عسكري آخر، فولد معهم في 8 آذار 1963 عهدٌ سيكون أحد أطول العهود السلطوية في التاريخ العربي الحديث، كما سيكون واحداً من أقساها، حيث تم تكليف صلاح الدين البيطار بتشكيل حكومة أغلبها من البعثيين، ومن الذين ضمتهم أمين الحافظ الذي تولى وزارة الداخلية، ثمّ تبوّأ بعد أشهر أرفع المناصب في دولة البعث الوليدة الذي صبغ وجه سوريا الجديدة بالدم، ساعده في ذلك الإنجاز الأكبر والأطول عمراً لثورة 8 آذار حالة الطوارئ والحكم العرفي، وتمّ التخلص من ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار، وإبعاد محمد عمران إلى اسبانيا سفير، وجيء بمنيف الرزاز من الأردن ليتولى الأمانة العامة للحزب، ثمّ وفي 23 شباط 1966 استولى ضباط اللجنة العسكرية على السلطة بعد هجوم شنّوه على منزل أمين الحافظ وتمّ تسمية حافظ الأسد وزيراً للدفاع، على أن يتولى صلاح جديد الإمساك بالمنظمات الحزبية وقيادتها، وجيء بالأطباء نورالدين الأتاسي ويوسف زعين وإبراهيم باخوس. وتمّ تسليمهم على التوالي: رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة ووزارة الخارجية. ولكن هذا النظام البعثي الذي تميّز وقوي ما بين 1966و1970، شهد بروز وانقلاب حافظ الأسد فيه على رفاقه".

يمضي صاغية في استعراض طبيعة الحكم زمن الأسد الأب، ولعبة "اللاحرب واللاسلم التي أتقنها الأسد"، وقال: "إن البعث السوري حول الحرب مع إسرائيل إلى عنصر فائدة بهدف الإمساك بالمجتمع السوري ومن ثم بلبنان وفلسطين". وأشار الى أن "نظام الأسد لا يستطيع تحرير الجولان، ولم يكن يريد استعادته بتسوية سياسية، لأنه إذا استعاد الجولان، فما المبرر لإبقاء سوريا محكومة عسكريا".

ورأى "أن أحداً لم يؤذ الفلسطينيين بقدر ما فعل الأسد الأب ويفعل الأسد الابن"، معدداً المحطات التي ضرب فيها نظام الأسد المقاومة الفلسطينية. وتطرق إلى دوره في "إذكاء الفتنة في العراق" كما أوضح أن "النظام السوري لطالما كان يخاف من تماسك اللبنانيين"، مشيراً إلى أن "لبنان دفع ثمن إصرار نظام الأسد على إبقائه مجرد ساحة لتحسين موقعه التفاوضي ".

يشير صاغية إلى أن حكم الأسد الأب قام على بسط النفوذ وتعزيزه وإفراغ المكان من المنافسين، من دون الالتفات إلى الشؤون الاجتماعية. حتى أن المشاريع الكبيرة والتقليدية لم تكن ليخطط لها وتنجز إلا كمؤونة اقتصادية للمحافظة على صحة النظام لا سلامة الفرد. هي السياسة عينها التي اتبعها الأسد الابن مع انفتاح شكلي.

يصل صاغية إلى الفصل الأخير في الكتاب مع انتفاضة درعا تحت عنوان شديد البلاغة "بعث بلا قيامة".

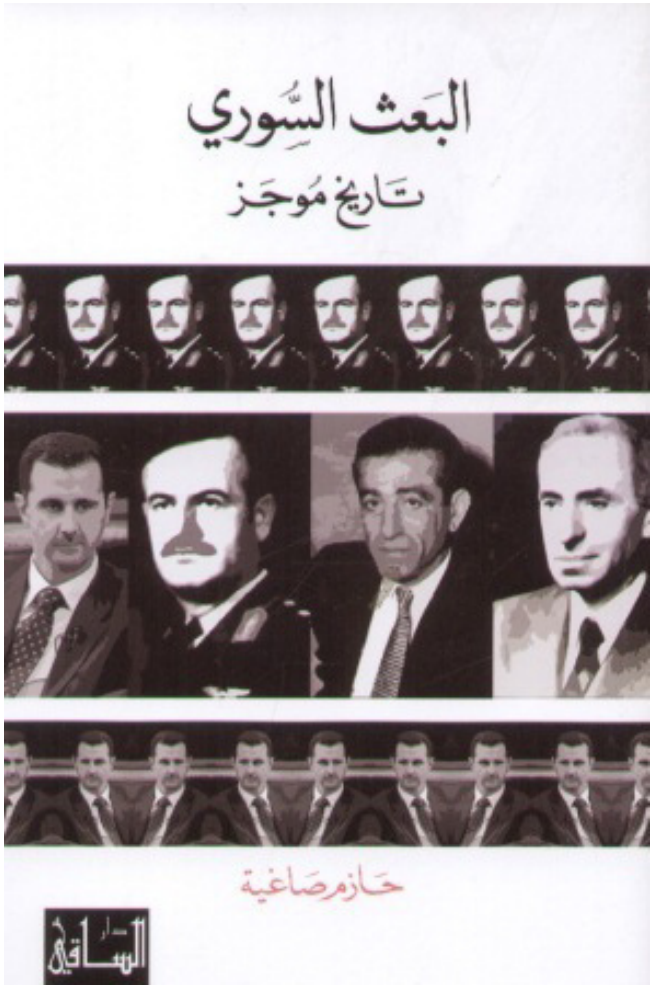

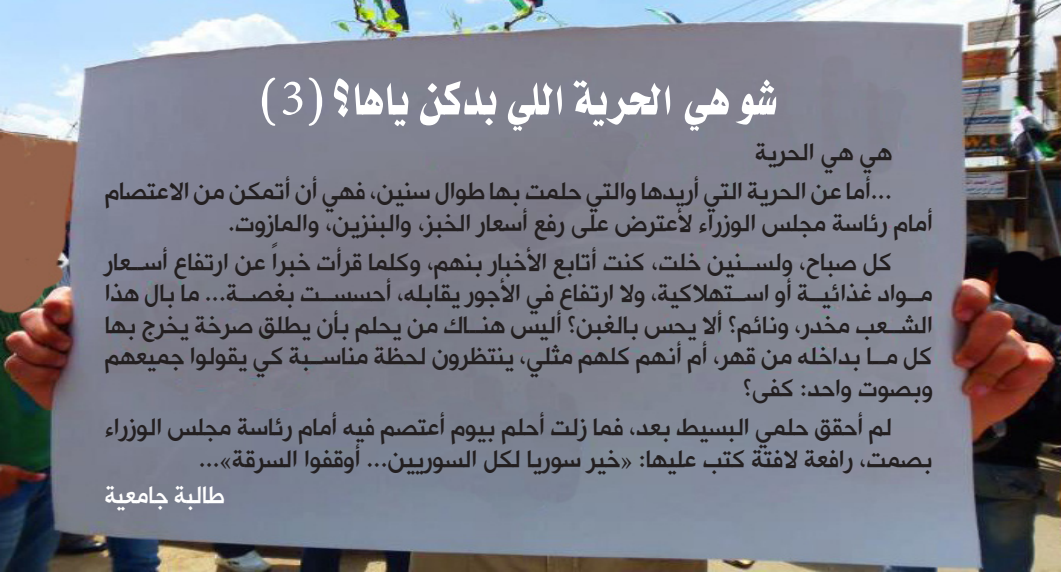

شو هي الحرية اللي بدكن ياها؟ (3)

هي هي الحرية

...أما عن الحرية التي أريدها والتي حلمت بها طوال سنين، فهي أن أتمكن من الاعتصام أمام رئاسة مجلس الوزراء لأعترض على رفع أسعار الخبز، والبنزين، والمازوت.

كل صباح، ولسنين خلت، كنت أتابع الأخبار بنهم، وكلما قرأت خبراً عن ارتفاع أسعار مواد غذائية أو استهلاكية، ولا ارتفاع في الأجور يقابله، أحسست بغصة... ما بال هذا الشعب مخدر، ونائم؟ ألا يحس بالغبن؟ أليس هناك من يحلم بأن يطلق صرخة يخرج بها كل ما بداخله من قهر، أم أنهم كلهم مثلي، ينتظرون لحظة مناسبة كي يقولوا جميعهم وبصوت واحد: كفى؟

لم أحقق حلمي البسيط بعد، فما زلت أحلم بيوم أعتصم فيه أمام رئاسة مجلس الوزراء بصمت، رافعة لافتة كتب عليها: «خير سوريا لكل السوريين... أوقفوا السرقة»...

طالبة جامعية

هالا حداد

سوريا امرأة تعيش المخاض الصعب.. تنزف أبنائها بين الطلقة والطلقة.. تصرخ.. تعض على يدها.. تموت وجعاً.. صوت جنينها القادم.. يحمل الأمل..
يقول الحكماء: احتملي.. كلما اشتد الألم، اقتربت الولادة..

عروة نيربية

تل العتر، المذبحة التي أشرف فيها النظام السوري على ذبح فلسطينيين كي ينضووا في إهاب حكمه للبنان، وقيادته لكامل القضايا العربية، وكي يخضعوا لما رآه في نفسه من إدراك لمصلحة الفلسطينيين، واللبنانيين، كما السوريين أفضل منهم أنفسهم.. كتب عنها محمود درويش إحدى أجمل قصائده، التي يمكن اليوم أن نعدّها كلاسيكية..

"أعدُّ أضلاعي فيهربُ من يدي بردى/ وتتركني ضفافُ النيل مبتعداً / وأبحثُ عن حدودِ أصابعي / فأرى العواصمَ كلَّها زبداً".

خضر الأغا

الحنجرة التي لا تهتف تضمحل

محمود محمود

"أمراء الحرب" "تجّار الدم" "نخّاسو البشر" "مستثمرو المصائب" "مقاولو الخراب" "انتهازيو الفجائع" "سماسرة الفقر".. الخ.. الخ.. الخ..
هؤلاء قيّحُ الثورة.. هؤلاء قيّحُ أيّ ثورة.

عهد زرزور

ما التعويذة المرتجاة، لتخرج منك أرواح كثيرة، بحجم شعب، كانت قد سكنتك؟.

رغداء خطيب

على مقاعد الخوف.. شوق وحنين.. ليس للدفاتر وأقلام الرصاص.. بل لرفاق غيبهم الموت.. بعد الأنين..

ميس كريدي

كلما قبل الأرض شهيد يا بلدي يقتلني صمتي في حجرة النوم المظلمة..

إيفا جمال

مع كل ومضة يختفي إنسان ما عن الحياة...
فمتى تنتهي الومضات لينتهي هذا الرحيل..
شهداء سوريا المجد لكم يا أحبتي..

هديل مرعي

ما نراه في سوريا لا يصدق.. هذا الشعب يلاحقه الموت والعذابات من شارع لشارع.. وهو يركض خلف الموت والى جانبه يعانقه ولا يبالي..

ليلى العودات

الحرية جبارة وغالبة ومعدية ومدمنة ولا راد لقضائها ولا حول إلا لها ولا قوة إلا بها.

إياد كلاس

يلعن أخت هالبلد.. حتى بسوق "السنّة" ما عم يلتقى لا متة ولا غاز!!..

خولة دنيا

على هذه الأرض ما يستحق الحياة..
بلاد تخرج من أربعين طاغيتها بكامل مشمشها!!..
شكرا محمود درويش للاستعارة.

موفق نيربية

نظام مجرم.. من دون أسباب تخفيفية:
يقصف الأحياء والمدن من دون حساب.. يسرق كل شيء على طرائق العصور الوسطى.. يضرب الأحياء المعارضة من أحياء يريدها موالية.. حتى يورث البلاد صراعاً لا ينتهي.. يسلك علناً وبوقاحة مصوفة سلوكاً يقسم الأمة.. يحرق الدنيا وراءه ويعطي انطباعاً قوياً بأنه لن يمتنع عن تقسيم البلد في النهاية.. يشجع ويرعى المجازر والتصفيات على أساس النوع والتهجير.. ينطلق من أن الأساس في المعركة هو قتل الأطباء والممرضين.. وتصفية المشافي الميدانية وتلك الملتزمة بقسم أبوقراط والقانون الإنساني الدولي.. يقتل حمص.. بؤرة سوريا الوطن..
لا أسباب تخفيفية أبداً.. نموت نموت ويحيا الوطن..

نورا مراد

صديقي ياللي كاتب على جبينك " لا صوت يعلو فوق صوت المعركة": بفهم غضبك، وبقدر انفعالك وبحترم حماسك.. بس على مهلك شوي.. عم تفوت بدون ما تنتبه (أو يمكن أنت منتبه) على نفس المساحة ياللي عم تقاتل مشان تطلع منها.. وأكيد.. أكيييد مو هادا ياللي بدك ياه.. وللا شو؟!!!..

هالة العبد الله

وأنا طفلة كنت أظنها أسطورة وعندما كبرت تأكدت أنها حقيقة.. إذ كانوا يحكوا لنا ونحن صغار أن الحموية أوقعوا أثناء الاحتلال الفرنسي طيران للعدو بالنقيفة..
والنقيفة لمن لا يعرف هي لعبة أطفال مصنوعة من الخشب والجلد لقذف البحص والحجارة الصغيرة..

هيثم حقي

أبونا باولو.. ما أجملك.. ما أصدقك.. ما أروع لهجتك السورية.. كم تعمقت في سوريتك لتستخدم "يروحوا بالطوشة".. كم عبرت عنا وأنت تقول نحنا وتقصد أنك منا نحن السوريون.. كتبت مرة عنك باستخدام القول الذي صرعونا به لأندريه بارو "لكل إنسان متحضر في هذا العالم وطنان: وطنه الأم وسوريا" وقتها كانوا قد قرروا طردك من وطنك الثاني سوريا.. أعتذر منك فقد صححت لي أن سوريا الأم هي التي تفتخر بك ولداً لها..

مصطفى الجرف

في مقال بديع نشر على موقع شبيغل أونلاين اليوم، يجتمع الفلاحون في مدينة مارع الصغيرة الواقعة شمالي حلب ليناقشوا طبيعة الدولة القادمة بعد السقوط الحتمي لنظام الأسد، فيقررون أنهم يريدون دولة مدنية يتساوى فيها الجميع ويحكم فيها الأفضل بغض النظر عن عرقه أو دينه أو مذهبه، وأنهم لا يريدون حكم العسكر مرة أخرى حتى ولو كانوا تحت اسم الجيش الحر.. !

إياد عماشة

أصحو على صوت الطائرات تقصف بنعومة أوكار الحشرات، أتأفف، أدمل رأسي بالوسادة كي لا يزعجني هديرها البشع، ألعن الطائرات وساعتها، وأنهض متكاسلا لأشرب فنجان قهوة صباحي على صوت القصف.. أتأمل صوت طائرة رش المزروعات تلك تهدر جيئة وذهاباً فوق حقول بلدتي، أتذكر بحرقة طائرات وطني التي تقض مضاجع الوطن بسفكها لدماء أبناءه، أتذكر أبناء وطني الذين يرتشفون قهوتهم تحت حقد قذائف الطائرات الحاقدة..
صباح الخير يا وطني الثائر، صباح الخير يا شعبي المنتصر رغم حقد الطغاة.

شيرين الحايك

للأصدقاء العلمانيين أو المثقفين اللي مشكلتهم بالثورة "الإسلاميين"، بحب قلكم، أمّا عني أنا فأنا مشكلتي هني الإقصائيين، حتى لو كانوا علمانيين أو مثقفين..

بسيم الريس

الأب باولو الرائع على العربية.. يفهم العربية وأرضها أكثر من الكثيرين.

يوسف بزي

في نشرة أخبار أمس: قُتل شاب فلسطيني على يد القوات الإسرائيلية. يا إلهي كم سدّد نظام الأسد القتل الإسرائيلي.

خولة يوسف

القبض على بشار الأسد يختصر كل أزمة سوريا.. يلغي كل مخطط بشع قذر يظن أنه به سينجو.. بشار الأسد مطلوب للعدالة.. حرروا سوريا.. حرروا حتى شبيحته منه.. لأنهم دُمى بغيضة فاقدة للإرادة..

زين الباشا

الأب باولو رسول الوئام الإسلامي المسيحي.. أنت شيخي، وقبلاتي لرأسك.. والمسيح مسيحنا وسورياً وطنا، ويسقط النظام العاهر قاتل المسلمين والمسيحيين والعلويين والسنة والدروز والإسماعيلية والشيعة والعرب والكرد والإنسان.

عمار المصارع

شاهدت لقاء الأب باولو مع جيزيل خوري 3 مرات ولم استطع حتى الساعة كتابة جملة يمكن أن تفيه حقه.. ربما لأنه كان سوريا أكثر منا جميعا.. !!

عزة البحرة

البارحة ومن على منبر ستوديو بيروت، تابع جميع السوريين وبكافة أطيافهم.. العلوي والسني والمسيحي والدرزي والإسماعيلي.. الخ من بقية أطياف الشعب السوري حديث الراهب باولو.. الراهب باولو السوري أكثر من الكثيرين من السوريين.. باولو هو الشخص الذي يجب أن يُمنح الجنسية السورية وبجدارة.. عله بقبولة لها "يمنّن "على "بعض" من أفراد الشعب السوري ببعض من وعيه وإدراكه وسعة أفقه ومحبته.. الراهب باولو الذي أشاع البهجة والفرحة في قلوبنا بسماعنا للصوت الواعي.. والمنطقي والمحب.. الصوت الذي جمعنا.. نحن كل السوريين على مختلف مشاربنا وأطيافنا وقناعاتنا وانتماءاتنا.. إنه صوت الحق.. صوت المجتمع المدني في كل واحد منا.. صوت يجسد حاجتنا للديمقراطية.. إنّه صوت أكثر ما نحتاج له... المحبة.. إنه صوت.. الحرية..

يامن ديوب

هي الحرية اللي بدّك اياها؟؟
لا مَعلم، الحرية الحمرا بالرَّف التاني ع ايدك اليمين، وهات الحجم العائلي لو سمحت

لقمان ديركي

أنا فلسطيني مو لاجئ.. أنا جولاني مو نازح.. أنا كردي مو إنفصالي.. أنا مسيحي مو صامت.. أنا حمصي مو سلفي.. أنا تركسي مو سائح.. أنا آشوري.. أنا يزيدي.. أنا مرشدي.. أنا إسماعيلي.. أنا حموي.. أنا ديري أني من الرقة.. أني درزي مش متآمر.. أنا إدلبي.. أنا ريحاوي.. أنا حلبي.. أنا شامي مو تاجر.. أنا سوري.. مو متهم...

طارق ملص

لو أردت الحديث عن سوق السنة لكتبت:
غد المسيحي والسني والدرزي والعلوي يباع في سوق السنة اليوم، وبأبخس الأثمان...

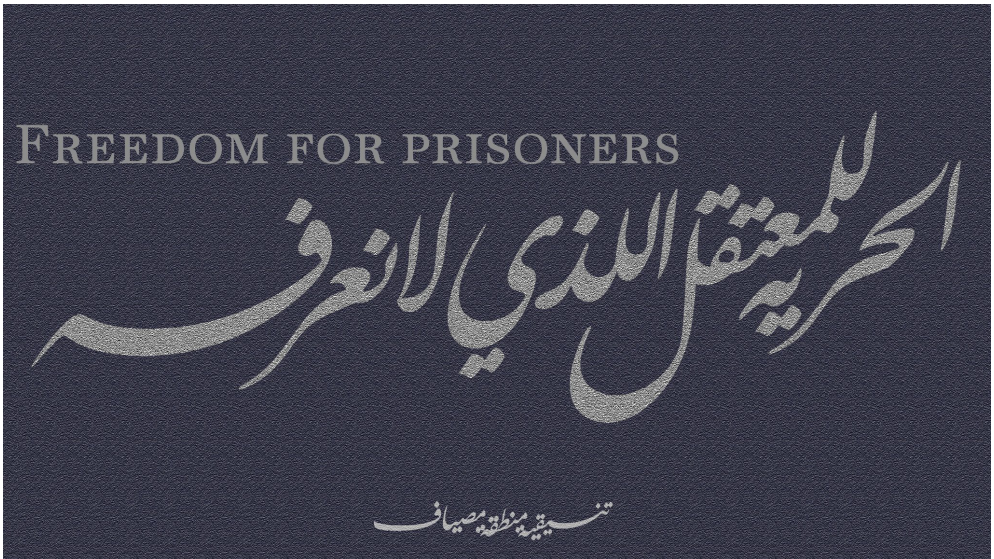

أبراهة، المعتقل الصوتي (الجزء الأول)

■ شهادة: إبراهيم السراقبي. ■ كتابة: علاء ألرش.
■ لوحات: الفنانة ليلى. والفنان ميكا جي.

الشخصيات:

إبراهيم السراقبي: ثائر معتقل.
صهيب السراقبي: أخ إبراهيم، ثائر معتقل.
أبو إبراهيم السراقبي: والد إبراهيم، طبيب.
أنيكو: صديقة إبراهيم، هنغارية.
شادي مارينا: ثائر معتقل، صديق إبراهيم.
المقدسي: محقق
زهر: مجند من درعا

الفصل الأول

يوم الخروج من المعتقل / في الإستديو مع أنيكو / في سوق حلب التجاري

أراد (إبراهيم)، قبل أي شيء آخر ما، معرفة الصوت الذي سيسمعه لحظة خروجه من المعتقل؟ هذا ما أثار اهتمامه حتى قبل اتخاذ القرار، بمن عليه أن يقابل؛ (أنيكو) أولاً أم (شادي)؟، من خلفه السور الباطوني، حجراً حجراً كأهرامات مصر، يعزل خلف جدارنه الأحرار والمجرمين. الشمس القوية تظلل لحظة إبراهيم الأولى بعد عام من الاعتقال. ورأى عن بعد سيارة مرسيدس سوداء توقعها (أنيكو) بداخلها تنتظره. نزلت امرأة أنيقة من الباب الخلفي؛ ترتدي جاكية سوداء وتنورة رمادية، شعر طويل ونظارة فضية على العينين، متجهة نحوه، وأشعة الشمس تجعل وجودها الجميل، لمعتقل يخرج بعد عام، فائق الواقعية وأورع من السينما.

هل يتخيل (أنيكو) كامرأة مصارف هنغارية، فاخرة على هذا الشكل؟، أبداً. كان يشكك في رؤياه، لكن صورة فتاة كشاف الصف الثالث التي احتفظ بها في ذاكرته كل مدة الاعتقال، تشابهت مع هذه المرأة الفاخرة المتجهة نحوه. صورة الفيس بوك تظهر (أنيكو) طفلة صغيرة في كشاف الصف الثالث، تحمل شمسية زهرية تقيها شمس مخيم بودابست الصيفي. حمّل الصورة من على النت، وطبعها، واحتفظ بها في جيبه، طيلة فترة الإعتقال. وترك لها رسالة قصيرة: (مرحباً صديقة الصف الثاني. أنا إبراهيم السراقبي. بتتذكريني؟ كنّا أصدقاء في كشاف الصف الثالث. ربما تذكريننني. هل من الممكن اللقاء؟ فنجان قهوة في أي مكان تختارينه. سأترك بودابست خلال أسبوع. كل الشكر والمحبة. بودابست 2011/05/15)، مضى الأسبوع ورفضت (أنيكو) طلبه للقاء. جاءه الجواب منها قبل يوم واحد من الرحيل إلى سراقب، ليشارك في ثورة البلدة السورية. حين اعتقل في 2011/06/30.

الشمس في صورة كشاف الصف الثالث لم تكن كشمس حلب الآن، أمام سور المعتقل. (إبراهيم)، قالت أنيكو لتتأكد من اسمه. كانت تضع قبعة سوداء أيضاً. (كيفك؟) قالت بالهنغارية، ولمست أسفل خده. قبلها إبراهيم، وهو يفكر بأنها لم تكن غريبة إلى الحد الذي تخيله. وبلا كلمة، صعد معها إلى مقعد السيارة الجلدي. أيكون صوت موتور السيارة أول ما تلتقطه أذناه في عالم الحرية؟، كان يتأمل من نافذة المرسيدس الخلفية، الأحياء المحيطة بسجن (حلب) والتي بدأت تمر تباعاً. قالت أنيكو: (حبيبي. أنت منيح؟)، وبالهنغارية بدت له الكلمات أكثر برودة. لحظات وعبرت السيارة تجمع أسواق (حلب) التجاري. راقب (إبراهيم) المارة يعبرون الشوارع. "الناس"، ردد في سره، كأنهم فكرة لم تكن تخطر له سابقاً. بعد عام كامل من الأسر لأجل الحرية، انصدم (إبراهيم) بالحركة الروتينية للباعة التجار. تأمل لو أن أحداً ما على الأقل يعرفه: " إبراهيم، أهلاً بالسلامة " يصيح الرجل العارف لإبراهيم، يتوقف المارة عن المسير، والتجار يظهرون من خلف دكاكينهم: " إبراهيم. إبراهيم. كيف خرجت من المعتقل. بطل، بالله بطل"، لكن اللغة الهنغارية تكررت: (حبيبي. ما بك؟ استأجرت شقة بحلب. بدك ترتاح شوي قبل ما ننتقل على سراقب. بعدين بتشوف الأهل مرتاح)، وابتسمت (أنيكو) ابتسامة المشتاق حين ينال.

لم يلتفت المشتاق للمشتاقة، وهذا السوق الحلبي مليء بالناس تتحرك بصمت، بلا مبالاة، والصمت في السيارة أشد مما هو في المعتقل. كان يرغب لوهلة بالنزول، بالبكاء وحيداً؟ كيف له تحمل كل هذا الوجود، وشمس (حلب) الحارقة. لم يسأل (أنيكو) إيقاف السيارة، لأنه خاف النزول إلى العالم وحيداً، ودون أمل أن يعادوه صوت (أبراهة). هل ستعاوده هنا في الضجيج الحلبي؟، فكر (إبراهيم)، أتحادثه من جديد في أصوات

الباعة الآن؟ لم يتجرأ الهبوط خوفاً من أبدية هذا الصمت المأتمي في أذنيه. كانت كل كلمة " حبيبي " من فم (أنيكو)، تعني أن صوت (أبراهة) لن يعود. أن الأنثى بداخل إبراهيم تموت، مرة بعد مرة، كلما مرت كلمة " حبيبي"، تسميّه ذكراً، فتغيب (أبراهة) بأعماقه بأكثر.

بلا جواب من (إبراهيم) بل مجرد إشارة بهزة رأس، وصلت السيارة المرسيدس إلى الشقة التي استأجرتها (أنيكو). كانت صغيرة لعاشقين. (ستديو ليوم واحد)، قالت (أنيكو)، وشكرها (إبراهيم) على أي حال. خلع حذاءه على الموكيت البني، وارتبك الجلوس، كان هناك كرسي وسرير في العمق، ففكر بالتربع أرضاً. دعته (أنيكو) للتمدد على السرير، خلعت عنه حذاءي القديم، وهدهدت على ركبته بأصابعها الملونة الأظافر. " شكلها لطيفة" ردد (إبراهيم) في سره، كأنه حذرٌ من غريبة.

بجسد خجل من طول الانعزال، تمدد. نظر إليها وهي تخلع قميصها الأبيض. ابتسمت (أنيكو) مقتربة، وجلست على طرف السرير: (بعرف مرتبك. طبيعي حبيبي. لا تقلق)، وقبلته قرب شفته. تابع (إبراهيم) التحديق بالسقف: " هل يحادثه السقف؟ هل للسقف صوت أصلاً؟ " كان يفكر، بينما تحاول (أنيكو) أن تريح جسده، وفكت ربطة البدلة الأنيقة الذي خصصها ليوم الخروج. داعبت أصابع (أنيكو) شعر صدره. " كيف للجسد أن يفهم هذا الانتقال المفاجئ، من التصحر في منفردة، إلى رفاهية مداعبة (أنيكو)؟ ألا تتسرع (أنيكو) بملامسة فخذه؟ هل تشتهيه هذا القدر؟ ولم لا. إنه حر الآن " فكر في سره. " هل تعرف (أنيكو) تعرف شوق جسده ليدي أنثى. لكن، كيف لها أن تتخيل (أبراهة)؟ كيف له أن يخبر (أنيكو) أن جسده سيرفض، أنه يشعره مكتمل".

قلقت (أنيكو) من صمت إبراهيم الطويل، وقالت: (ما بالك حبيبي؟ بتركك وحدك؟ استعجلتك، اعذرني). كان يرغب بإرضائها بطريقة ما، لكنه لم يكسر الصمت. وضع يديه على كتفيها العاريتين بلا جدوى، فغياب صوت (أبراهة) قاحل، و(إبراهيم) يشعر نفسه عجوز مهمل في زمن الأبيض والأسود.

لا أصوات سوى حفّ الشفاه على الجلد، وحفّ جسد (أنيكو) المتمايل على الشرشف، عند قدمي (إبراهيم) العريضتين. انسلت الألوان من على جدران الشقة كدموع، كأنها شاخت فجأة رمادية. (أرغب بالخروج)، قطع (إبراهيم) الصمت، كان ذلك إعلان فشل تواصلهما الجسدي الأول، إعلان مربك للقاء خابت به الآمال، انتهى على صوت خطوات (إبراهيم) يهبط السلالم.

شوارع (حلب) في ذلك العصر لم تأبه لحضوره، ولا أصوات إلا للباعة، يدعون المستهلكين للشراء، ويعدون النساء بالجمال والرفاهية. لا صوت عن حرية أو تغيير، لا أثر لعام مر على اعتقال المناضل (إبراهيم). لم اعتقل (إبراهيم)؟ وهل أثر ذلك شيئاً في الآخرين؟ بأي بشري يقطن وإياه هذي البلاد. كان يتساءل وهو يقطع السوق التجاري الأكبر في حلب سيراً على الأقدام، من رصيف إلى آخر، سوق الجلديات، والذهب؛ لا صوت يعلو على صوت المال هنا. بينما بإمكان(إبراهيم) تذكر كل الأصوات من المعتقل، الأبواب الحديدية تغلق وتفتح، صوت المحقق (مقدسي) المنحرف، إلا صوت أبراهة: " أبراهة. أبراهة"، نادى بداخله، " أرجوكي " ويشدد على ياء الأنثى. سأعثر على شادي لأجلك. سيمدني بالقوة لأتحدث للعالم عنكي. وحين وصل سوق القماش، بدا له عام اعتقاله حلماً بعيداً: " هل حدث حقاً ما حدث؟ ساعديني أبراهة؟ " تساءل وكأنه خارج للتو من كابوس بصري. هل حدثته أبراهة حقاً؟ هل كان له صوت في داخله أصلاً؟ شعر (إبراهيم) بداخله خواءً، كبرودة سوق تجاري حديث.

ليلة اعتقاله، كان متجهاً ليلاً إلى شمال (سراقب)، على الطريق العام بين حلب وإدلب، وضوء موتوري الهوندا 135 ل (إبراهيم) وأخيه (صهيب السراقبي) ينيران وحدهما جزءاً من طريق السفر العريض. يتسابق الأخوان كالخيالة الأمريكان في أفلام الكابوي؛ سترة جلدية سوداء، بلاكات فضية على المعصم الأيسر، وموسيقى ملك الروك (الفيس برسلي) يصدح من مسجلة موتور (إبراهيم): (Love me tender، love me true). كانا متجهين إلى منزل عائلة المارينا، (شادي مارينا) معتقل الحرية الأول في (سراقب).

نبه (صهيب) أخاه (إبراهيم) للنور المتسرب من جهة الطريق الفرعي، من حيث خرجت مجموعة من السيارات لملاحقتهم. غاب موتور (صهيب) في الأحراش الطرقية، واستمر (إبراهيم)

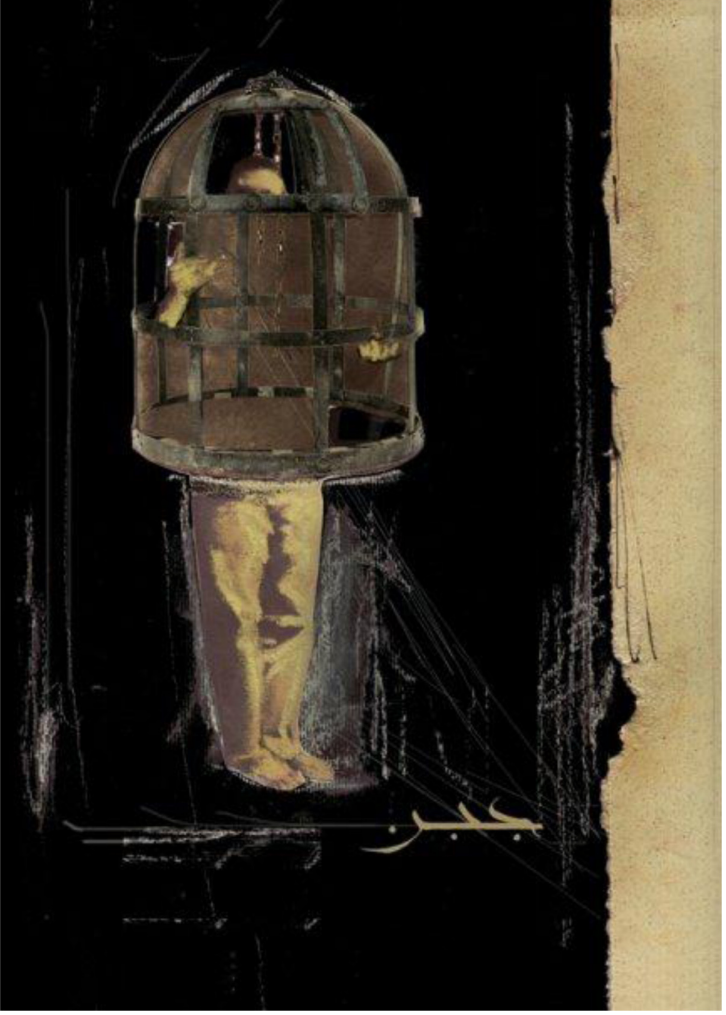

مصراً الوصول إلى منزل عائلة المارينا هذا المساء. تشده رغبة الاستماع لأول قصة حرة في بلدة (سراقب). قصة (شادي مارينا) أول معتقلي الحرية من أهالي البلدة. تخيل (إبراهيم) أن الحرية ربما ترسم الكلمات بمعاني أخرى في حكاية إنسان حر. تساءل: " بعد الحرية، بيضل الرجال رجل بنفس الطريقة؟ والمرأة مثلا، بتضل نسوان متل ما منعرفها؟ الحرية بتبدل كل شي يمكن " ابتسم إبراهيم رغم توثقه من اقتراب السيارتين من خلفه. زاد من سرعة الموتور إلى 130كلم، وتطايرت موسيقى (الفيس برسلي) مع شعره الهنغاري المودیل: " لا يروى الحر قصة، كما يرويها العبد "، هكذا قرر (إبراهيم)، وكأنه يعرف كل أبعاد الحرية، وها هي السيارتين تحاصرانه من الأمام والخلف، ويجبرانه على التوقف، فيفقد كل معنى للحرية. ضربوه، قبل أن يقلوه داخل ميكروباص أبيض، وهم مسلحون. صاح عليهم أحدهم: (أدخل ولك جحش. وعم تسمع موسيقى أجنبي كمان، مثقف يا ابن الشرموطة). لم يكن (إبراهيم) قد أنهى دراسته الجامعية بعد حتى يصنف نفسه بهذه الفئة من البشر: " مثقف " كانت تلك المرة الأولى التي ينعت بها بهذا النعت، فثبت في ذهنه، رغم أن النعت الذي راج عنه بين نزلاء المعتقل هو: " الشب يلي معو صورة بنت صغيرة".

عروّه، صورة (أنيكو)، كانت في جيب قميصه الأبيض، وهي في الصف الثالث للكشاف، تبتسم، كأنثى، وتحمل شمسية زهرية، تتدلى للأرض. والتصق النعتين بإبراهيم: " مثقف، معو صورة بنت". طلبوا منه أيضاً، أن يقف كأثنى بملابسه الداخلية البيضاء، أن يركض في ممرات المعتقل بملابسه الداخلية، وهم يهزؤون. أغمضوا عينيه، وبدأت رحلة الأصوات في ممرات السجون المعتمة من صمم الصدى. (إبراهيم) يشعرها من تحت الطماشة يشعرها ضيقة. فتحوا باباً حديدياً، سمعهم يدخلونه إلى مكان مصمت، وتركوه قرب الباب. حين رفعوا الطماشة عن عينيه، أحاط العتم بعينه بدل الظلام. ورغم أنه أنصت إلى أحذية الجلادين تبتعد عن الزنزانة، لكنه فقد القدرة الصوتية على تخيل المكان، واضطر مجدداً لاستعمال عينيه. حدق إبراهيم في العتم: " هل هم ثلاثة وجوه ثابتة تلك التي أمامه. ما هذا؟ شيء غريب. "، ثم قال بصوت عال: (السلام عليكم)، علّ هناك أجساداً من حوله لا يراها. (خراس ولا)، جاءت الإجابة، وأرفقتها رفسة بسطار عسكري على باب الزنزانة المعدني الذي دخل منذ برهة منه. صمت (إبراهيم)، وتابع التحديق في العتم، في هلاميات تؤكد له جسماً بقربه، ليس أكثر بعداً من متر، ثم رأى 9 عيون. تسعة أعين لثلاثة وجوه صامتة، تحدق إليه مباشرة، ومن خلفهم أحرف محفورة على الجدار القذر، محروفة بطبشور الأبيض على جدار المعتقل الجماعي: (شادي مارينا 2011/03/20).

عثر في الزنزانة الجماعية على اسم أول حر في (سراقب)، " دخل مثلي هذا المكان" فكر (إبراهيم) الذي كان يرغب بالذهاب لسماع قصة معتقل (سراقب) وها هم يجلبونه إلى المكان الذي عاشه (شادي مارينا). " هنا قبع شادي " كرر (إبراهيم)، واكتشف أنه سيصبح يوماً حكاية، كصديقه. شعر لأول لحظة منذ اعتقاله بنفحة أمل، فكر بالمستقبل: " أنا حكاية. سأخرج يوماً لأرويها "، كأنه عثر على تقنية تنقذه من جحيم الاعتقال، كعدسة ركبها أمام عينيه لتعزله عن المكان.

هكذا تابع التحقيق الأول بهدوء: (هل هذا أنت يا إبراهيم؟)، ورفع المحقق الطماشة عن عيني " المثقف الكلب إبراهيم". (هل هذا أنت في الفيديو؟)، (نعم) أجاب المعتقل. فسأل المحقق (لماذا حطمت تمثال السيد الرئيس في مدينتك؟). في داخله أجاب (إبراهيم): " الله وأكبر حرية" وردد للمحقق: (كل أهل سراقب أرادوا هذا). (حسناً. حطمتم صنم الرئيس. كسرتم الخوف. حسناً. لماذا تصور ذلك؟)، قال المحقق (المقدسي) الحاد الملامح، يرتدي بدلة لميعة، وذقنه المحلوقة تزيد من ترويسة أنفه. (أنتم تتخلصون من الخوف أمام الكاميرات فقط؟ هل تعرف أن تكسير تمثال الرئيس سيؤدي إلى كوارث رهيبة في بلدتك سراقب. هل تريد يا إبراهيم أن تعيش بلدتك بلا أخلاق، وبلا رادع. هل تؤمن حقاً بالحرية؟) وحين أجاب (إبراهيم) بنعم، اندهش وجه المحقق البارد، وهمس لأذن المعتقل المكبل اليدين: (مهما صرختم حرية ستخلقون صنماً جديداً)، وتابع التجول بحذائه الجلدي في غرفة التحقيق. من طقطقة جلد الحذاء عرفه (إبراهيم) جديداً: (الثورة ستخلق صنماً جديداً. ونحن نؤخر ولادة صنمكم. هل تريد للناس أن تعيش بانفلات يا إبراهيم؟ أنت مثقف). ثم تبعثر الدعسات عدة خطوات نحو العمق، على الأرضية القذرة: (هيا. شوف الفيديو يلي صورته. إنكم تكسرون الخوف باحتراف، وتمثال رأس القائد مكسور ومبخوخ عليه. لماذا يا إبراهيم؟ ألا تراه عملاً فنياً؟)، ويضحك المحقق (المقدسي) الشهير بأنفه المروّس: (انظر كيف تقتربون من صنم الأعوام ال 40 ماضية. في هذه اللحظة ما زلتم خائفين، أحدكم يشجع الآخر. والآن هنا.. هذه لحظتي المفضلة.. أحدكم يقترب، ليس أنت بلاشك، فأنت خلف الكاميرا.. أول من يلمس التمثال أشجعكم.. تمتد إليه طاقة من جبروت تمثال الرئيس. ومن ثم تتهافتون كالكلاب. تحتارون كيف تحطمونه، الرأس الحجري، ترتبكون في الحركة ثم تتجرأون، ويتدرج تمثال القائد على الأرض)، وبنشوة أنهى (المقدسي) شرح مشهد الفيديو أخيراً. ثم استدار ببطء وأمسك بعنق (إبراهيم): (أنا لا أفهم لماذا تصورون هذا؟ حسناً. (يا إبراهيم لا تعذب الشباب)، وفتح المحقق باب الغرفة، وترك المتهم مطأطأ الرأس من الذنب.

الفصل الثاني
الوصول إلى سراقب

" هل روى شادي ما حدث معه في المعتقل لأهالي سراقب؟" كان هذا أول ما يرغب (إبراهيم) في معرفته. استقل الباص باتجاه بلدته الأم. كان يفكر بـ(أنيكو) التي تركها وحدها في الاستديو المؤجر. سيتصل بها حالما يصل يقابل عائلته في سراقب. كان يريد التوجه إلى منزل عائلة المارينا أيضاً، رغم تأكده بأنه لن يعثر على (شادي) هناك. كان يريد استعادة الرحلة التي بدأها قبل اعتقاله، متوجها لمنزل شادي المارينا ليسمع حكاية الحر الأول، كأن العام لم يمضي، ونور موتور الهوندا 135 تحت عينيه.

اجتمع أهالي المنطقة مساءاً في منزل الطبيب أبو إبراهيم، اطمئنوا على الشاب المناضل البطل، وتحلق مجلس الأعضاء من حوله مع بعض الأراكيل. كان كأن الجميع ينتظر منه فرجة، حكاية إبراهيم في معتقله. فساد الصمت، وتركزت عليه الأنظار. (هل روى شادي قصة اعتقاله؟)، سأل إبراهيم دون مجيب، وخيم ذنب جماعي على المجلس، وخصوصاً في العمق حيث يجلس أفراد عائلة المارينا. طأطأ الحضور رؤوسهم أرضاً بمأتمية، كأن شادي ارتكب ذنباً أزلياً.

إذاً، كيف يحكي لهم هو عن أبراهة؟ أيصدقون؟ لماذا لم يسبقه (شادي) بروّي حكايته. كان (شادي) دوماً سباقاً، أكثر جرأة منه. وتأتي لإبراهيم بين الحضور ذكرى أصوات من المعتقل، ومن ثم صوت المحقق (مقدسي): (ما يعجبني بك يا إبراهيم أنك لا تكسر الخوف، وإنما تصور من فعلوا ذلك قبلك)، أصوات من حلقات التعذيب المتتالية في غرفة التعذيب 12. أجبروه الجلادون مرة أخرى على الركض بملابسه الداخلية، وأمر أحدهم هازئا: (تخيلو إبراهيم يحمل شمسية زهرية، يلا نجبلوا وحدة)، قرفص (إبراهيم) أيضاً بوضعية أنثوية، بحسب أوامر جلاديه، لم يحص عددهم، فأصوات المعذبين تتقاطع، والأثقل أنها تصمت معاً، حين يراقبون جسده يتعرى كأنثى، ويركض بملابس داخلية في ممر طويل.

لم يكره (إبراهيم) جلاديه، ففي بلاد حيث الأحرار في المعتقلات، لن يكون جلادوها بأقل من هؤلاء انحرافاً. لم يأتوه أي مرة بشمسية زهرية إلى غرفة التعذيب 12، لكن إبراهيم تخيل منظره يحملها. كأن الجلادون يرغبون دوماً بأن تشاركهم أنثى رؤية المشهد، ألا يكون التعذيب حكراً ذكورياً. كما يستمتع (إبراهيم) إطالة النظر إلى الطفلة (أنيكو) تحمل شمسية كشاف الصف الثالث، هكذا فهم أنهم يستمتعون برؤية جسده، وهم يؤنثونه للمتعة البصرية. لكن أحدهم لم يتجرأ على لمسه، إلا أوقات التفتيش. " اللمس لا يعني الضرب، بل المداعبة " يفكر إبراهيم مقرفصاً كعاهرة مهجورة تحت أعين الحراس.

في الشهر الرابع، عثر المحقق العبقري (مقدسي) على فيلم آخر من تصوير الناشط (إبراهيم السراقبي)؛ فيديو أول مظاهرة جماعية في (سراقب) ضد النظام الحاكم. كان طبيب البلدة (أبو إبراهيم السراقبي) من بين المجتمعين في صلاة الجمعة، وبتاريخ 2011/03/02، تداول المصلون بعد الخروج من جامع (البرهان) ما يفعلون. كان الحكماء يخففون من حماسة الشباب، أشعل (إبراهيم) الكاميرا ع الفور ليصورهم شباناً وشيوخاً في جدل عالي. غلبت أولاً آراء الشيوخ على أصوات الشبان: (حسنا. لن نهتف. الأمر خطير. ليس لنا علاقة بالسياسة)، ثم ما لبث أن اتفقوا بأي الهتافات يبدأون. فيديو (إبراهيم) صوّر وجوههم، حماس الشبان وتردد العجائز، ووالده كان بينهم، في الستين من عمره، طبيباً تخصص في هنغارية، ثم اكتسب مع العمر ثقة أهل (سراقب) كطبيب، فأنصتوا إليه: (تريثوا. هدوّ بالكم يا شباب). قطع المحقق (مقدسي) الكاميرا: (حقيقة أنت بارع باختيار اللحظات يا إبراهيم. كل مرة بتصور لحظة كسر خوف جديدة. شوف أبوك، عم يرفع أيده ليعترض على الهتاف الأول. لكن ما حدا بيهتم، وبيهتفو: حرية للأبد، ولكل ولاد البلد.. حكي فاضي بعدين وباللكنة السراقبية بيضحكوا.. بس هون مع الهتاف الثالث. شوف أبوك إبراهيم. اطلع منيح. بدأ يشارك هلق. كسر الخوف. "، ويصمت المحقق فتنشأ مظاهرة من أول عشرين سراقبياً كسروا الخوف. تتحد أصوات الشبان والعجائز: " حرية للأبد، ولكل ولاد البلد". بينما يكرر (المقدسي): (إبراهيم. لا تعذب الشباب)، حين يترك المذنب مربوطاً إلى كرسي التحقيق.

السجانون بصمت يتابعون تأنيث إبراهيم يومياً. كلما أطال (المقدسي)، في جلسات التعذيب، الأشبه بمحاضرات

نفسية عن مرحل كسر الخوف، يتقبل إبراهيم، براحة أكبر صورة الأنثى. وأضاف اثنين من الجلادين ياء التأنيث في مخاطبته: (ارفعي رجليكي إبراهيم.. البسي تيابك... اركضي في الممر)، واستجاب إبراهيم لياء التأنيث. بما أنهم لم يلمسوا جسده، فكل شيء على ما يرام: "إنني حكاية. كشادي، سأخرج وأرويها"، كأن كل ما يحدث مؤقت، وسيخرج (إبراهيم) ليروي، ويصور فيديوهات جديدة عن لحظات كسر الخوف. والطماشة على عينيه أثناء التعذيب تمنعه من رؤية جسده، كان يرتبك في تلك اللحظات بأكثر من غيرها، فالطماشة لا تمنعه من رؤية الآخرين فقط، بل حتى من رؤية جسده: (نقصلك شعرك؟)، يسأل جلاد. في غرفة التحقيق 12، ينسى الجسد تصنيفه الذكوري البحت، وتثقل الصفات الأنثوية على جسد إبراهيم، جسده الذي لا يراه، بل يصله عبر نعوت الجلادين، حتى دخل (بردة) في شهر أيلول سجن (إدلب).

كان يصيح: (أنا يمني. بردة اليمني. توثقوا من هويتي)، ويكرر بصوت جهوري، في ممرات المعتقل وزنزاناته الستين: (لديكم هويتي. أتيت من اليمن)، مرتدياً ملابس مشعوذي الصحراء كمهرج، وهو يبتسم. تلفت الزائر الجديد (بردة) من حوله، ورمق أعين السجناء المبهورين، وحتى على شفاه عناصر الأمن الذين أدخلوه، ارتسمت ابتسامة هازئة تصعب الظهور خلف تعابير الجلاد. بينما (بردة) يقفز، نحيلاً أسمراً يكرر حكايته في الزنزانات: (لدي صفقة تجارية في حلب. أنا بردة تاجر العطور اليمني. أسواق حلب تنتظر عطوري)، يعيدها بلا ملل، ويتلقى ركلات قوية من موظفي السجن، حتى اقتنع بالصمت قد وصل قرب (إبراهيم)، المعتقل الذي لم يخف انبهاره بنحالة (بردة)، ورداءه الأحمر القاني، وهيئته الأفريقية كالملوك، واشتبكت العيون، عيني (بردة) بعيني (إبراهيم) للمرة الأولى.

كرر (بردة) حكاية اعتقاله لكل سامع: (أنا يمني. جاية لحلب. صفقة عطور. كان معي 25 ألف دولار في شنتة. والتاكسي تركني عند مدخل سراقب. السارق. تركني وسرق حقيبتي، قلي: (هي حلب خيو). غشني أليس كذلك؟ سراقب مو حلب. سراقب مليئة بالجيش، سألت عن مخفر الشرطة، أجاب رجال الحاجز بأن ليس لدينا شرطة هنا) كان (بردة) يروي الحركات بشكل جيد، وينوع بصوته نعومة وخشونة ليشد الانتباه، فأنصت جمور الزنزانة للقادم الجديد: (ليس لدينا شرطة هنا.. أجابني رجل الأمن.. بس في مخابرات). قفز (بردة) بمبالغة ذعراً، وهو يردد: (25 ألف دولار. 25 ألف. أنا رحت للمخابرات بنفسي. مين هدول مخابرات. جاوءا بي إلى هنا. أنا تاجر من الصحرا. مليش علاقة)، وقبل أن يكرر الاسطوانة مرة ثانية، كانت رفسة على باب الزنزانة، وشتيمة تخرسه: (اليمني ابن الشرموطة خراس)، ثم دخل أحدهم وأخذ إبراهيم إلى الخارج.

وفي الليلة الأخيرة قبل جلسات تعذيب الكهرباء، وتناول العشاء للمرة الأخيرة مع زملاء الزنزانة الجماعية قبل أن ينقل للمفردة. قبل أن ينقل إلى المنفردة. لمح إبراهيم من المصطفين للعشاء رداء (بردة) الأفريقي القاني. تابعه بعينيه وهو يسكب حساءاً مع قطع بطاطا مهروسة. ثم توجه إليه (بردة)، وهو يروي بعض النكات: (هل تعرفون حرب البطاطا؟ آه في العصر القديم. حتى أن أهالي مدينة نبهة بالصحراء صنعوا تمثالاً للبطاطا. أعرف تلك المدينة جيداً هناك نهر، وهو في عمق الصحراء، لا يعرفه إلا علماء السراب. يفيض 20 كلم على طرفيه، عند النهر نتبادل القصص) وصل (بردة) الآن إلى جانب (إبراهيم)، بعد الاستعراض القصير. وأكمل الحديث لإبراهيم وحده وهو يضع يده على كتفه: (هناك، يا عزيزي، لكل تاجر عطر يحمله من بلده، وقصة ما. لنعرف ما يجري في باقي العالم)، ثم يوشوش (بردة) (إبراهيم) في أذنه وهو يلتهم البطاطا المهروسة ببطء:(احك يا إبراهيم. لا تنتظر حتى تخرج. قد تطول بك الإقامة هنا. إنهم محترفون بالتعذيب. عليك أن تحك للآخرين عما تشعره). كانت نبرة اليمني أبوية، ولم تكن تلك المرة الأولى التي ينظر فيها (إبراهيم) في عيني العطار. (بردة) مراراً في ممرات المعتقل لمح عيني (إبراهيم)، واشتبكت نظراتهما مراراً بين الجموع. (حاول أن تفرغ أثر التعذيب. احكي عنه)، وقبل أن ينهض أضاف: (إنهم يؤذونك من الداخل. لكننا أصدقاء) وغمز بعينيه، وهو يبتعد حاملاً صحنه الفارغ يكرر: (في النيل الأزرق، شمال السودان، يزرعون الرز فوق طبقة من ماء. رأيتهم بعيني. يقال أن الأطفال جالبون للخصوبة، وأن عليهم السير فوق المحصول لتباركه قوى السماء). يقفز خطوتين، ويضع يده على معتقل هزيل أمام صحن عشاءه:، (ألا تصدقني يا عزيزي؟ ألا تتخيله؟ مجرد طفل يمشي فوق حقل رز، يختارون أكثر الأقدام نعومة. أجسادهم أنثوية)، ورمق (إبراهيم) من بعيد بنظرة خاصة، ثم ألقى بصحنه بين الصحون القذرة.

تخيل (إبراهيم) ليلتها نعومة أطفال الرز، ويستحضر أصابع أقدامهم، كانت تلك المرة الأولى منذ دخوله المعتقل يستلق على ظهره بطواعية، يسند يديه خلف رأسه، ويحلم في فرشة اعتقاله، كأنها لحظة إعلان لرغبة الخيال بالسرحان، قبل أن تبدأ جلسة التعذيب الكهربائي الأولى.

وفي نفس قاعة التحقيق ذات الرقم 12، أجلسوه على كرسي، وأوصلوا أطراف أصابع يديه وقدميه بأسلاك كهرباء التي عبرت جسده بسرعة. كان (إبراهيم) يتوقع الغياب عن الواقع، وخشي ما يفعلونه بجسده حال غيابه. كلما ارتفع مؤشر فولت الكهرباء على جسده، حاول ذهنه التمسك بالواقع أكثر. ثبت نظره أولاً على عداد الفولتات، ثم غيّر وجهة بصره. كان ذهنه يتسارع تسارع سريان الكهرباء في جسده، يختلق مرساة للتمسك بالواقع، أي شيء يمنع فقدانه الوعي. لكن في غرفة التحقيق 12 لا ذكريات للذهن تربطه بالمكان، وجسد (إبراهيم) بعيد عن العين، خلف الطماشة. ترتفع حرارة الكهرباء بلا ألم، ولا ذكريات في المكان سوى جلسات التحقيق السابقة. أيتذكر الجلسة السابقة؟ حيث كان يحمل شمسية زهرية، عارياً بالسليب الأبيض. كيف لا تؤثر به قوى الكهرباء المتعالية؟ الآن غاب. غاب عن الوعي، ليستيقظ لأول مرة في حياته في المنفردة.

(احكيلنا يا إبراهيم. احكي) يكرر (بُردة) المتسلل ليلاً إلى بعد التعذيب، و(إبراهيم) وحده في عتم المنفردة. (نقلوك للمنفردة لأنك لم تعترف. أنت صامد. وعليك أن تحكي عما تشعر، عيونك مليانة بالألم. خلص نفسك، أرو لنفسك حتى)، والعطر الخاص بالتاجر (بردة) تخفف عن (إبراهيم) ألم الجسد. كان العطر يعبر عبر الباب المعدني العازل بينهما، حين قال (إبراهيم) مرة واحدة: (يعاملونني كبنت)، كأن جلسات الكهرباء وألمها المرعب ليست جل اهتمامه. قال (بردة): (لا تقلق. أتعرف الأميرة ياقوت؟ أميرة من موريتانيا. كانت أمير. أقصد. أميرة. آه فقدت القدرة على الروي)، كان بردة يريد أن يطمئن إبراهيم بحكاية، لكنه خشي عليه من شدة ألم صوته. (لا تقلق. لا تقلق إبراهيم. الأميرة ياقوت، كانت تجوب قوافل الصحراء وهي فتية. لم يعرف أحد جنسها، الأميرة، الأمير ياقوت، يخدمها الرجال والنساء، وتحارب قوافل المشلحين في الصحاري. ربما لا شيء يعنيك من هذه الحكاية. لكن المثير أن الأميرة ياقوت كانت دوماً محاطة بأشياء ذكورية ممزوجة أنثوية، وطبعاً بالخدم والجواهر. لكن حينما تقاتل، حينما تقاتل يا إبراهيم، فور ما يعتدي أحدٌ على قافلتها في الصحراء. آه) ينصت إبراهيم من خلف الباب لحكاية (بردة)، ويتخيل حيرة خدم الأميرة في تحديد جنسها، كيف تخرج الأميرة ياقوت من مخدعها، كيف تنطلق لتقاتل من يعاديها. ويصرّ (بردة) على الصورة: (هل صدقتني يا إبراهيم؟ أنت تراها. أفهمتني؟ لا تقلق. على الذهاب الآن، ارو لنفسك)، وقبل أن ينهض، طلب منه ألا يخشى ليلته الأولى في العزلة، وأن أحد السجانين يدعى (زهر) يشفق على (إبراهيم) في جلسات تعذيب الكهرباء، هو من ساعد (بردة) للتسلل ليلا إلى هنا. (ستعرفه من صوته في إحدى جلسات التعذيب)، قال (بردة)، وهو يضحك ويترك إبراهيم ليلة عزلته الأولى. كانت الغرفة مترين أو أقل، و(إبراهيم) لأول مرة، منذ 6 أشهر يتوحد. ليلته وحدته بمكان معتمٌ وقذر، لكنه منفرد، خاص به وحده. ومع رحيل (بردة) غابت عن المنفردة، خيالات صحراء الأميرة ياقوت، وفي سكون الليل الطويل، تذكر (إبراهيم) (أنيكو)، صديقة الصف الثاني التي رفضت لقاءه.

أتته أولاً في ذلك الظهر الربيعي، حين فرا طيلة الظهر إلى الساقية الصغيرة خلف مخيم كشاف الصف الثالث. ساد قلق بين المدربين على الكشافين (إبراهيم وأنيكو)، بينما يلعب الطفلان لعبة عن الحب. كانت حرارة ما في تلك اللحظة تحرك الفتى إبراهيم بجانب ساقية مخيم (بودابست) الصيفي. طيلة الظهيرة لم يتبادل مع الزميلة أنيكو أي حرف، حيث خرخرة خفيفة من الساقية تجمّل الصمت الطفولي. بينما يتراكم في داخلهما شيء من سعادة حب جسدي، من حرارة، تماماً كهذه الحرارة التي تجتاح (إبراهيم) في منفردته المنعزلة الآن. قال الكشاف (إبراهيم): (أحبك زميلة أنيكو)، كان قد قرر أن يلمس شعرها الأشقر، لذلك تأخرا في العودة حتى الغروب. فجرأة فتى الصف الثالث طال قدومها، لكنه قبل (أنيكو). ارتعش جسد الزميلة الفتية، لكنها لم تخش النظر إلى عيني الكشاف (إبراهيم). تذكر المعتقل (إبراهيم) الآن في منفردته ملمس البشرة، وكذلك براءة النهد الهنغاري. لم تعترض الزميلة أنيكو، كانت كهرباء بسيطة تسري في جسدها، ثم رفعا يديهما معاً بعهد حب طفولي عند ساقية.

كان لابد لذهن معتقل منذ 6 أشهر، أن يستجلب ذهنه ذكرى حميمية على هذا القدر من الدفء في وحدته. سرت الحرارة مرة أخرى في جسده، وبدت له فكرة ملامسة الجسد فكرة لطيفة. مجرد احتكاك عضوه بإحدى يديه، لكن خيال المعتقل شحيح. بحث ذهنه عن مشهد جنسي يوصله النشوة، أي صورة عابرة، لامتطاء جسد أنثى كامتطاء موتور هوندا 135. لكن أين لذكر مهان كإبراهيم أن يخلق مشهداً يمتطي فيه أنثى؟ أيشبعها؟ قذارة المنفردة كانت كقذارة جسده، وفي استيهاماته وحيداً، لم ينجح في استدراج جسد أنثوي، ليصنع منها مشهد إباحياً يرضي الخيال. استسلم كأي رجل كسير في منفردة معتمة، وضع عضوه حرارة تلهب بأكثر الحاجة للرؤى. فجأة سمع تنهد (أنيكو) في مخيم الكشاف، حين هربا معاً في مغامرة الساقية الهنغارية. من معتقله المنعزل خلف سور باطوني سمع صوت الساقية، ومن بعدها تنهيدة (أنيكو)، تنهيدة انتست قديماً في الذاكرة. تأوهين في تلك الظهيرة، أتياه من ساقية بودابست في الذكرى، حتى الزنزانة، فبلغ النشوة.

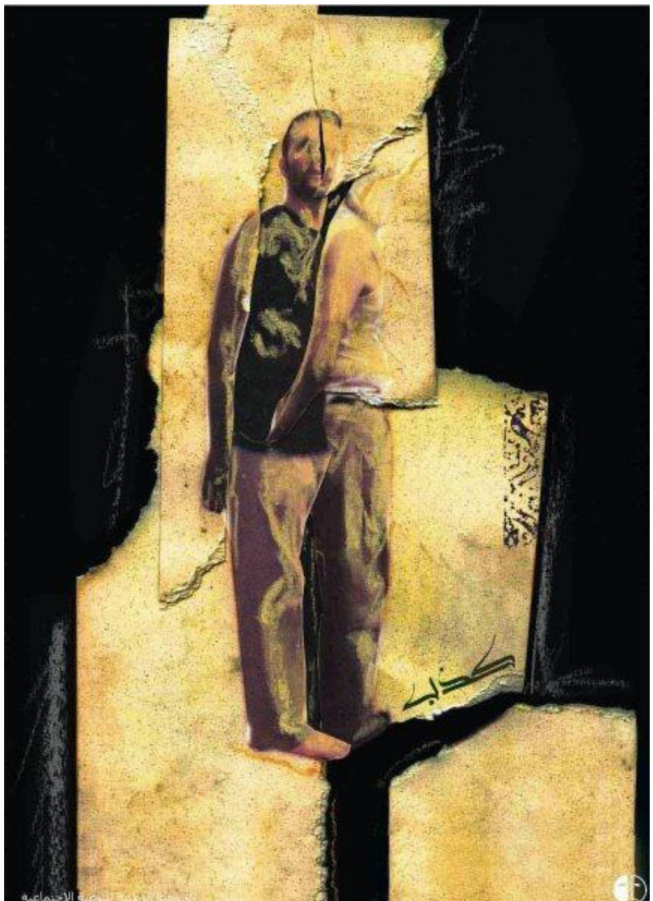

سوريا الغد، ملونة أم بالأسود والأبيض؟

■ بكر صدقي

رفع أحد المتظاهرين في بلدة داريا في ريف دمشق لافتة كتب عليها: " سوريا الجديدة، إذا ما فيها موسيقى وبزق كردي، ما بدي اياها". والتوقيع: "تنسيقية داريا، 24 \ 5 \2012".

داريا، كما بات معروفاً، هي إحدى المناطق الكثيرة التي بادرت إلى الانخراط في فعاليات الثورة السورية منذ بداياتها ربيع العام 2011، وتلقت بسبب ذلك فيضاً من وحشية قوات النظام وشبيحته، من حملات قصف ومداهمة واعتقالات، وقدمت مئات الشهداء وأعداداً لا نعرفها من الجرحى والمعتقلين. من أبرز شهدائها الناشط السلمي الشاب غياث مطر الذي اشتهر بتمسكه بالنضال اللاعنفي برغم كل الوحشية التي واجهتها بلدته المسالمة، وما زال رفيق نضاله السلمي يحيى شربجي في معتقلات أجهزة النظام ولا نعرف عن مصيره شيئاً.

يعود تاريخ النشاط السلمي المدني في داريا إلى مطلع القرن، أي منذ انتقال السلطة "السلس" وراثياً من الدكتاتور العجوز إلى ابنه "الشاب" في العام 2000. سمعنا بـ"مجموعة داريا" حين اعتقلت أجهزة النظام عدداً من ناشطيها وقدمتهم إلى إحدى محاكمه الاستثنائية باتهامات لا علاقة لها بأنشطتهم الحقيقية. كانت مجموعة من الشباب تقوم بأعمال النظافة في الأماكن العامة وتسعى ما في وسعها لمناهضة الرشوة والفساد الحكوميين. قد يبدو غريباً لمراقب خارجي أن تعاقب سلطة مواطنيها على أعمال تطوعية إيجابية من هذا النوع. لكن العارف لبنية النظام العائلي المافيوي البوليسي الحاكم سيعترف بأن تنظيف الشوارع طوعاً في سوريا يشكل مصدر خطر له أكبر من خطر سيارة مفخخة بطن من المواد المتفجرة، كتلك التي فجّرتها أجهزته أمام فرع فلسطين في دمشق قبل أسابيع قليلة ونسبتها إلى منظمة القاعدة.

تضيف اللافتة المذكورة أعلاه إلى الرصيد السلمي لناشطي داريا، وطنيتهم الجامعة وانفتاحهم على ألوان الطيف السوري. لا أقصد أن المضمون الذي عبرت عنه اللافتة جديد أو استثنائي في مشهد الثورة السورية، فقد رفع السوريون في جميع المناطق شعارات تعبر عن المعنى نفسه منذ بداية الثورة، ومن أبرزها "واحد واحد واحد، الشعب السوري واحد". المظاهرة التي قمعت داخل المسجد الأموي في دمشق، في 22 آذار 2011، على سبيل المثال، رفعت فيها لافتة حملت صورة الهلال والصليب متشابكين. وبصورة عامة أكد ثوار سوريا السلميين في كل فعالياتهم، على تمسكهم بوحدة الشعب والوطن بكل ألوانه القومية والدينية والمذهبية والإيديولوجية وتنوع أنماط الحياة والسلوك.

هذا على مستوى التعبير الظاهر والمعلن. وهناك البعض ممن يشككون في مطابقة هذا المعلن لما هو مضمر. وهذا مفهوم بالنظر إلى ثقافة سائدة قائمة على النفاق والتقية وازدواج الخطاب واللغة والمعايير جميعاً، عمرها من عمر نظام البعث الذي أكل معظم تاريخ الكيان السوري الفتي. لعل أدونيس هو أشهر من عبر عن هذه الحساسية، حين نظر شزراً إلى خروج المظاهرات من الجوامع في يوم الجمعة وهتافات لها سمة دينية كـ"اللّه أكبر" أو "اللّه سوريا حرية وبس" وغيرهما. من النافل القول إن تدفق مئات الألوف إلى ساحة العاصي في حماة أو الساحات الرئيسية في دير الزور، أو الحراك النشط في مدينة السَلَمية طوال عمر الثورة، أو المظاهرات الكبيرة التي لم تنقطع عن جامعة حلب طوال عام... كل ذلك لم يخفف من هواجس الفئة التي يمثلها أدونيس، ولا يبدو في الأفق أنه سيخفف. في حين أن نظرة عن قرب وبعمق إلى حساسيات الشباب المنخرطين في فعاليات الثورة، تكشف للمراقب غير المتحيز أنهم يتمتعون بانفتاح عقلي وسمو أخلاقي يفوق ما يظهر منهما في لافتات الثورة وشعاراتها.

كأنني أتحدث عن ملائكة منزهين عن الأهواء والغرائز؟

بالتأكيد لا. فإلى جانب هذا النضج في الوعي المدني الوطني، ثمة ردات فعل غريزية حدثت في نقاط القمع الساخنة، كانت أدنى بكثير من المتوقع في مواجهة عصابة مسلحة لا تملك إلا الغريزة. لا تقتصر العصابة هذه على القوات المسلحة التي تدافع عن النظام، ولا على شبيحته المشبعين بالغريزة الطائفية العارية، بل تتجاوزهم إلى البيئة المفترض أن تكون مدنية من الموالين. يخرج هؤلاء في مسيرات التأييد فيشتمون الحرية بلا أقواس اقتباس. نعم يخرج طلاب جامعيون في مسيرات يدافعون فيها ببذاءة عن عبوديتهم وعبودية سوريا، ولا يهاجمون أعداءهم وحسب، بل الحرية ذاتها كقيمة مجردة. هذا إذا لم نذكر العنف المنفلت العبثي الذي لا يعبر غير عن حقد طائفي أسود تراكم منذ قرون في سرديات عن المظلومية، أججها حكم حافظ أسد وابنه الخارجين من صفوف الأقلية نفسها، بدلاً من تهدئتها.

يكشف مضمون لافتة داريا المشار إليها عن قلق من خسارة التنوع الثقافي الذي تتمتع به سوريا ويشكل معناها وميزتها. لماذا القلق؟ لأن النظام توغل عميقاً في نفق معتم لا يفضي بالبلاد إلا إلى الحرب الأهلية والتقسيم، ما لم تقطع يده قبل اكتمال هذه الجريمة.

غير أن اللافتة اقتصرت من غنى التنوع الثقافي في سوريا على مكونه الكردي فقط. كان بوسع كاتبها أن يضيف ألواناً ثقافية أخرى تعبر عن الطيف الاجتماعي، لكنه لم يفعل. ترى هل يتوجس أهالي داريا من إمعان المكون الكردي في الابتعاد عن المصير الوطني؟ سأفترض هذا وأحيل إلى الحوار المطول الذي أدلى به حكيم بشار – رئيس المجلس الوطني الكردي – إلى جريدة الحياة قبل فترة وجيزة، بعد لقاءات أجراها وفد برئاسته يمثل المجلس الكردي مع وزارة الخارجية الأميركية. قال بشار في اللقاء المذكور إن المجلس الوطني السوري لم يعط الضمانات الكافية للأقليات في سوريا، وهذا مما يؤخر سقوط النظام المحتوم ويتسبب بمزيد من المآسي والدم. وتحدث بصراحة عن الكرد والعلويين فقال إن النظام الفيدرالي هو الضمانة المطلوبة للأقليات. وحدثني قيادي كردي آخر عن لقاء جمعه برفعت الأسد في باريس بناء على طلب الأخير الذي قال له: أنتم الكرد تملكون المخزون النفطي لسوريا، ونحن العلويين نملك شاطئ البحر.

ما أفقر سوريا بلا بزق كردي أو دبكات ساحلية.

عن: صباح سوريا

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (13597)

دمشق: 330
ريف دمشق: 1390
حمص: 5115
حلب: 514
حماه: 1682
اللاذقية: 310
طرطوس: 35
درعا: 1394
دير الزور: 578
الحسكة: 93
القنيطرة: 21
الرقة: 55
ادلب: 2070
السويداء: 9

1110 عدد العسكريين
12487 عدد المدنيين
608 عدد الإناث
345 عدد الأطفال الإناث
918 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 23 / 6 / 2012
http://vdc-sy.or